

ملخص البحث

هذه الدراسة محاولةٌ جادةٌ لحصر مكوّنات نسقِ البنية النحوية المتكاملة ووصفها في النص، بعد تحديدها في سبعة مكونات، هي المكوّن الصوتي، ثم المعجمي، ثم الصرفي، ثم التركيبي، ثم الأدوات، ثم المكون الأسلوبي، ثم المكوّنين الدلالي والتداولي، وجاء تحديد هذه المكونات السبعة لنسقِ البنية النحوية بعد قراءة استقرائية متأنية لكتب النحو العربي، والدراسات التي عُنيّت بـ (نحو النص) أو تناولته ضمن مسارات أخرى، فأفضى ذلك الاستقراء بالباحث إلى تحديد هذه المكونات السبعة لاكتمال نسقِ البنية النحوية للنص، وكان ذلك في إطار المفهوم الشامل للنحو، ذلك المفهوم الذي أثبتت الدراسة أنه القالب الحقيقي لنحو الجملة ونحو النص معاً، وأن معالجات النحويين القدماء لم تُغفل الملاحظات النصية، وليس نحو النص بمعزل عن نحو الجملة، ولا نحو الجملة بمعزل عن نحو النص عند التحقيق، واتخذت الدراسة معلقة زهير بن أبي سلمى نموذجاً تطبيقياً؛ لإثبات ما افترضته، والبرهنة عليه من خلال اللغة الموصوفة نفسها، فانتهت إلى ما يراه الباحث صالحاً للاستجابة لتطبيق نموذج "النظرية النحوية" ووصفه متحريراً الدقة والموضوعية ما أمكن، انطلاقاً من: النصوص الفصيحة، وإثباتات المحققين من النحويين واللغويين قديماً وحديثاً، والمنهج التكاملي بين عناصر البنية اللغوية، وما يكتنفها مما له صلةٌ بها.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذه دراسة تحليلية لعناصر المكونات النحوية بالمفهوم الشامل للنحو، في معلقة زهير بن أبي سلمى المزنّي^(١)، وهو أحد أقطاب الشعر العربي في العصر الجاهلي، الذي يُعدُّ أهله أربابَ البيان في أعلى مستوياته، ولا سيما شعراؤه وخطبأؤه، وهذه القصيدة تُعدُّ من خيار الشعر العربي باتفاق النقاد، فهي نصٌّ يُمثِّلُ قَمَّةَ الفصاحة والبلاغة في الشعر العربي، ويُعدُّ فيه النسيج النحويَّ أحكمَ ما يكون وأرقاه، وأبعدَ عن أيِّ عواملٍ تؤثرُ سلبًا في بُنى جُمَلِه، وأنساق تراكيبه، وألفاظٍ معجمه، ومباني صيغِه.

وقد كان الشاعر زهير بن أبي سلمى المزنّيُّ موصوفًا بالحكمة والرؤيَّة في القول، وبتجنُّبٍ وحشيِّ الكلامٍ وغيريه، وعدمِ تكلفِ فضول الكلام، يأتي بالألفاظ على قدر المعاني؛ ولذلك أُعجِبَ كثير من أفحاح العرب بشعره وفضلوه على غيره.^(٢)

ومن هنا تأتي أهمية التطبيق على مثل هذا النص، لاستكشاف السرِّ الكامن في اتصاف لغة أولئك القوم بالقوة والجزالة، والسلامة والاستقامة اللغوية، من خلال تتبعٍ دقيقٍ للعناصر المكونة لها، للنظر في خصائصها اللفظية والمعنوية،

^(١) اسم أبي سلمى: ربيعة بن رباح بن قُرة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور المَضْرِي، من مُزَيْنَةَ، ومُزَيْنَةَ هي ابنة كلب بن وبرة من غطفان، وهي أمُّ عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، مات زهير قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنة، حوالي عام ٦٣١م.

(انظر: الأغاني ١٠/٢٨٨ — ٢٩٢، وجمهرة أشعار العرب ١/١٩٠، ورجال المعلقات العشر ١٢٨ — ١٣٠)

^(٢) انظر: الأغاني ١٠/٢٨٨ — ٢٩٠، ورجال المعلقات العشر ص ١٣٠.

وأسرار تركيبها، وأسباب تناسقها، ودوالٍ نسبيها ومبانيها، مما يتيح الدخول إلى الكيان اللغويّ المُنجَز، والبحث في مكونات أجزائه، لاستنباط ما يمكن أن نسميه بالصورة النهائية للبنية النحوية الشاملة المتكاملة، دون إهمال لجزء منها، ومن غير إبعاد لعنصر له ارتباط بأسباب البناء وأبعاده.

ولقد تعددت الدراسات التي تتناول النصوص العربية تحليلاً وتوصيفاً منذ قديم، ولم تتوقف إلى يومنا هذا، ومع ذلك قلَّ منها ما يتناول النسق النحويّ في النصّ الفصيح على أنه نظامٌ كاملٌ مترابطةٌ أجزاؤه، وليس فيه ما ينبغي أن يُحكَم عليه بأنه خارج عن الوظائف النحوية والتواصلية المقصودة، أو ما ينبغي أن يُنسب لغير البناء النحويّ، فيكون وصفه في مكان آخر غير الدراسة النحوية، ولاريب أن هذا كان من الأسباب التي قصرت الدرس النحوي عند بعض الدارسين في أجزاء خاصة من البنية اللغوية، وجعلت دارجي النحو لا يبحثون عن أسرار التركيب إلا في ظواهر محدودة، كظاهرة الإعراب وأدواته، وبعض الروابط كالضمائر، وبعض الأساليب كالشرط والتعجب والنفي والنهي والتأكيد، ونحو ذلك مما هو مشهور في كتب النحو العربي.

وإن دارس اللغة محتاج أيما حاجة إلى معرفة ما وراء النسق الدقيق، الموجود في النصوص العربية الفصيحة، ومعرفة سرّ تكون ذلك النسق في ألفاظه ومعانيه، وأسباب تأثيرها في النفس، وسريانها في مشاعر القارئ والسامع لها، ولن يقف على ذلك كله إلا بتتبع بالغ الدقة لأجزائه الصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية والتواصلية، تلك الأجزاء التي كانت ماثلة في أذهان فصحاء العرب، وكامنة في نفوسهم كمون الحُضرة في نبت الربيع، فإذا تكلم أحدهم أظهرها وأباها كما ينبثق غصن الشجر عن نوره وثمره، والسنبلة عن حبها، جبلةً وسليقةً طُبِعوا عليها خِلقةً، ويكتسبها من خَلْفهم بالدربة والمران، والبحث والفحص لإدراك حقيقة ما أورثوه من كنوز اللغة والبيان.

والنحو لا يعدو معرفة كوامن نظام النص اللغوي، والوقوف على عناصره اللفظية والمعنوية، وإدراك نُظْم تنسيقه وتناسب ألفاظه ومبانيه، وطُرق تأليفها وتكاملها فيما بينها، وهذا ما تحاول هذه الدراسة تطبيقه وتحقيقه في معلقة زهير بن أبي سلمى المُزني، كاشفةً القناع عن أسس بناء النظرية النحوية المتكاملة، وصفاً وتطبيقاً.

أركان البحث

المشكلة : ادعاء غموض نموذج النسق النحوي المتكامل، وصعوبة تطبيقه على النصوص الفصيحة، وعسر تحديد كفاياته المعرفية: الوصفية والتفسيرية والنفسية، وأنّ هذا مما يجعل النصوص الفصيحة القديمة غير صالحة للتطبيق النحوي في العصور المتأخرة.

الفرضية: تفترض الدراسة أنّ نموذج النسق النحوي المتكامل غير غامض، وأنّ النصوص الفصيحة غنية، والبنية النحوية فيها متكاملة، وتفترض وضوح مكونات أنساقها، وسهولة استيفاء كفايات النظرية المعرفية فيها، وقرب مأخذها، وأنها النموذج الأمثل للتطبيق النحوي في كل عصر، فهل ستتحقق هذه الفرضية في البحث؟

الغرض: الوصول إلى النموذج النحوي الأمثل من خلال نص المعلّقة، وتحديد مكونات نسق البنية النحوية فيها من خلال العناصر المنتظمة للجمل، وللنص كله.

المنهج: الوصف التجريدي المستقصي لعناصر النسق النحوي في المعلّقة، وفق دلالاته وعلاقاته التداولية، والتفسير والبرهنة على صدق الوصف، والاستدلال من اللغة الموصوفة نفسها على صدق المقولات.

دلالة المفردات

المكوّنات: جمع مُكوّنة، اسم فاعل من كوّن الشيء إذا أوجده وجمعه ولمّ أطرافه وأقامه، حتى جعله كائناً ذا وجودٍ واعتبارٍ، والمراد هنا الأجزاء والعناصر المؤلّفة لنسق البنية النحوية، وتلتزم بها في النص الجامع لها.

النّسق: اسم للمنظوم المرتب على هيئة معينة، ومصدره: النّسق، بسكون السين^(٣)، وهو العطف على الأول^(٤)، والمراد به اصطلاحاً في الدراسات اللغوية: حُسْنُ التركيب واستواؤه على نظامٍ واحدٍ، وترتيب عناصره متتابعة بانسجام، ومنه النسق اللفظي وهو الترتيب النحوي للكلمات في الجملة أو العبارة، وكلامٌ نسقٌ: جاء على نظامٍ واحدٍ^(٥).

^٣ انظر: المغرب في ترتيب العرب ص ٤٩٠ (نسق).

^٤ المحكم لابن سيده ٦/٢٣٩.

الْبِنْيَةُ النُّحَوِيَّةُ: قِوَامُ التَّرْكِيبِ النُّحَوِيِّ وَهَيْئَتِهِ النِّهَائِيَّةُ^(٦)، مِنْهَا بِنْيَةُ الْكَلِمَةِ وَهِيَ صِيغَتُهَا، وَبِنْيَةُ الْجُمْلَةِ، وَبِنْيَةُ النَّصِّ بِجَمِيعِ عَنَاصِرِهِ، وَتَشْتَرِكُ هَذِهِ الْبِنْيُ مَعَ وَحَدَاتِ الْبِنْيَةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي تَكْوِينِ الْبِنْيَةِ النُّحَوِيَّةِ الْمُتَكَامِلَةِ.

النُّمُودَجُ: وَيُقَالُ فِيهِ: أُنْمُودَجَ، هُوَ الْمَثَالُ الَّذِي يُعْمَلُ عَلَيْهِ الشَّيْءُ، وَيُجْعَلُ مَعْيَارًا يُقَاسُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فَارَسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَقِيلَ الْأَصْلُ فِيهِ: (نَمُودَه).^(٧)

النُّظَرِيَّةُ النَّحَوِيَّةُ: النَّظَرِيَّةُ هِيَ الْقَانُونُ الْمُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالنَّظَرِ، أَيْ بِالتَّأَمُّلِ وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ، وَالنُّظَرِيَّةُ النُّحَوِيَّةُ هِيَ الْبِنْيَةُ الْجَامِعُ لِنِظَامِ الْفِكْرِ النُّحَوِيِّ، وَطَرِيقَةُ تَحْصِيلِ حَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ النُّحَوِيَّةِ، وَيُقْصَدُ بِهَا مَجْمُوعَةُ الْمَعَارِفِ اللَّغَوِيَّةِ، وَالْقَوَاعِدُ الْحَاصِلَةُ بِالْفِكْرِ وَالْبُرْهَانِ، وَالْآرَاءُ الْمُسْتَنْبَطَةُ مِنْ حَقِيقَةِ تَكْوِينِ اللَّغَةِ؛ لِلْوَصُولِ إِلَى النُّمُودَجِ النُّحَوِيِّ الْمُتَكَامِلِ.^(٨)

مُكَوِّنَاتُ نَسَقِ الْبِنْيَةِ

يتكون نسق البنية النحوية للنص إجمالاً من شقين اثنين :

الشَّقُّ الْأَوَّلُ: مَا يُسَمَّى بِالْبِنْيَةِ الصَّوْتِيَّةِ، وَتَنْتَظِمُهَا الْأَلْفَاظُ الْمُرَكَّبَةُ وَفَقْ الْمَعَانِي الَّتِي فِي النَّفْسِ، وَالْأَغْرَاضُ الْكَلَامِيَّةُ مِنَ النَّصِّ.^(٩)

الشَّقُّ الثَّانِي: مَا يُسَمَّى بِالْبِنْيَةِ الْمُنطِقِيَّةِ، وَهِيَ الْأَغْرَاضُ وَالْمَعَانِي الْمُنْتَظِمَةُ فِي النَّفْسِ.^(١٠)

^٥ انظر: مقاييس اللغة، والمعجم الوسيط، والمنجد، ومعجم الرائد: مادة (نسق) والموضع السابق في المحكم.

^٦ انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، والمعجم الوسيط، والمنجد، مادة (بني).

^٧ انظر: المصباح المنير للفيومي ٣٢٢. والمنجد، مادة (أتم).

^٨ انظر: كشاف مصطلحات الفنون للتهانوي ١/ ١٧٠٥، والمنجد، مادة (نظر). والنظرية النحوية لجيفري بول ٧١.

^٩ انظر نظرية اللسانيات النسبية للأوراعي ص ٢٤٧.

^{١٠} السابق نفسه.

وإذا تأمل القارئ هذين الشقين تبين له أن النحو يشمل كل ما له علاقةً بالنص الكلامي الذي يكون اللغة، قصيراً كان أم طويلاً، وأنه يتضمن العناصر اللفظية والمعنوية الصغيرة والكبيرة، ومن هنا عرفه بعض متقدمي النحويين — كما نقل السيوطي — بقوله: "النحو صناعةٌ علميةٌ ينظر لها أصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يأتلف بحسب استعمالهم، لتُعرف النسبة بين صيغة النظم، وصورة المعنى، فيتوصل بإحدهما إلى الأخرى" (11).

فوصفه بأنه صناعةٌ، يريد أنه شيء يصنعه النحوي بفكره وتأمله من المواد التي هي أساس المصنوع، وهي الألفاظ والمعاني، وأنه علميٌّ، أي منسوب إلى العلم النظريِّ، وهو معرفة حقيقة الشيء وإدراكه عقيب البحث والنظر في ماهيته وماله به صلة. (12)

ثم ذكر أن النحويين يستنبطونها من استعمالات العرب لألفاظهم؛ لأجل إدراك ما تحصل به النسبة الكائنة بين صور الألفاظ، وهي "صيغة النظم" ومحصول المعاني، وهو "صورة المعنى" وأن إدراك تلك النسبة بين اللفظ والمعنى هو الخيط الأساس في سبك البناء الكلامي الذي ترتبط به المعاني بالألفاظ، وهذا التعريف لمفهوم النحو لا يغادر شيئاً من نسق بنية النص النحويِّ، بأجزائها كلها، ومن هنا يمكن للفاحص أن يوزع مكونات نسق البنية النحوية على سبعة أنواع، لا يستقل منها واحد عما سواه، في أثناء المعالجة النحوية للنص، وهي:

١. المكوّن الصوتي.
٢. المكوّن المعجمي.
٣. المكوّن الصرفي.
٤. المكوّن التركيبي.
٥. الأدوات.
٦. المكوّنات الأسلوبية.

^{١١} نقله السيوطي رحمه الله في الاقتراح عن صاحب المستوفى، وهو القاضي أبو سعيد الفرخان علي بن مسعود بن محمود المتوفى (٥٤٨هـ) انظر: فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح لابن الطيب الفاسي ٢٣٣/١ — ٢٣٤، وبغية الوعاة ٢/٢٠٦.

والإصباح في شرح الاقتراح لمحمود فجال ص ٣١.

^{١٢} انظر: الحدود في الأصول لابن فورك ٧٦ — ٧٧، وكشاف مصطلحات العلوم للتهانوي ١٢١٩/٢.

٧. المكوّناتِ الدلالي والتداولي

تُعَدُّ هذه الأنواع جميعاً مكوناتٍ لِنسقِ البنية النحوية المتكاملة للنص، ولا ينبغي إقصاءُ شيءٍ منها في أثناء التحليل النحوي، وقد ذكرت متفرقة في كثير من الدراسات النصية^(١٣)، ومن أهم ما ينبغي للناظرين في الدراسات النحوية أن يعلموا أن بين هذه المكونات تداخلاً وتمازجاً تكاملياً، وأنّ تفصيلها وتصنيفها بهذه الطريقة ما هو إلا منهج دراسي وتحليلي؛ لأجل حصر عناصر النص النحويّة بوضوح، وليس لاستقلال بعضها عن بعض في تكوين النسيج النحوي.

ولقد أشار النحويون لهذه الأنواع بعامة، وأوردوا في ثنايا تفسيراتهم لمفهوم النحو ما يقرر إدراج كل مكوّن منها في عناصر نسق البنية النحوية، كمثّل قول أبي سعيد السيرافي :

" معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك ، وتجنب الخطأ من ذلك " .^(١٤) وذكر ابن أبي الربيع أن القصد من تغيير الحركات في أواخر الكلمات المعربة في الأصل هو الدلالة على المعاني من الفاعلية والمفعولية والإضافة، وأن جعل الحركات في الآخر دالة على المعاني من أحسن ما عمل في الكلام وأخصره .^(١٥) وممن ذكر نحواً من ذلك وأكدّه من أئمة اللغة : ابن جني^(١٦)، وابن فارس.^(١٧)

وتتنظم هذه المكونات عناصر لغوية عامّة، تُعَدُّ لها أركاناً وقوالب كلية، تأتي في أربع وحدات أساسية، وتتكون في أثناء الحدث الكلامي، وهذه الوحدات هي :

^{١٣} من الدراسات التي ذكرت هذه المكونات أو أشارت إليها ضمناً: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: أوزوالد، وجان ماري ص ١١١. و في التحليل اللغوي : خليل عمارة ص ٢٨. والمصطلح اللساني وتأسيس المفهوم : خليفة الميساوي ص ٣٠. وبلاغة الخطاب وعلم النص، لصالح فضل: ص ٢٢٤. والإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، لأنس فجال ص ٨٤ وما بعدها. و في تحليل الخطاب الشعري لعصام واصل ص ٣٧. والدلالة الوظيفية في بيئة الجملة الشعرية لعامر السعد ص ٣٧.

^{١٤} (الإمتاع والمؤانسة ١/١٢١ .

^{١٥} (انظر البسيط في شرح جمل الزجاجي ، لابن أبي الربيع ١/ ١٧٢ - ١٧٣ .

^{١٦} (الخصائص لابن جني ١/ ٣٥ .

^{١٧} (الصاحبى في فقه اللغة ٧٦ .

١— الوحدة الصوتية، وهي حروف المعجم التي هي الأساس للمادة اللغوية ، وهي أصوات ملفوظة لأنها تتكون عن طريق الصوت المعتمد على مخرج ، نحو : ء ، ب ، ت ، ج ... إلى آخر الحروف الهجائية ، ومنها الحركات ، فكل من الحرف والحركة وحدة صوتية بسيطة ، والحرف مع حركته وحدة صوتية مركبة ، وكل مقطع من المقاطع الصوتية المعروفة يُعد وحدة صوتية مركبة .

٢— الوحدة الصرفية، وهي تتكون من الحروف السابقة ، ويدخل في هذا القسم جميع الوحدات الصرفية الحرة كحروف المعاني المنفصلة، والصيغ، والأدوات، وكذلك المقيدة كالضمائر المتصلة^(١٨)، وتميز الوحدة الصرفية بأنها إذا قُسمت فقدت معناها.^(١٩)

٣— الوحدة التركيبية، وهي ما تتركب من كلمتين فأكثر، ظاهراً أو تقديراً — كما هو مشهور في كتب النحو — وتدخل فيها من جهة الدلالة الأدوات النحوية كلها، نحو: صدق محمد ، و:محمد صادق ، و: قُم ، و: إن قام ، و: يا الله ، و: من يتق الله يفز ، و : إيه — هيهات

٤— الوحدة النصية، وهي الجملة، أي الشكل النهائي للعبارة اللغوية، وهي وحدة ذهنية مبنية على المعاني، من غير التفات إلى ما يمثلها من الأصوات.^(٢٠)

ويدخل في هذه الوحدة النص الكامل المكون من جمل متعددة؛ لأداء غرض كلامي واحد أو متعدد في سياق مرتبط بعضه ببعض، كالخطب والقصص والقصائد الشعرية، ونحو ذلك.

وسيتبين في التحليل الآتي لمعلّقة زُهَيْرٍ كيف يكتمل بناء النسيج النحوي من جميع المكونات السابقة، في قوالب هذه الوحدات الأربع، وأن الجانب التركيبي فيما يُسمى في العصر الحديث بـ(نحو النص) ليس شيئاً خارجاً عن (نحو

^{١٨} انظر : مدخل إلى علم الأصوات ، لمحمود فهمي حجازي ص ٥٨ - ٥٩ .

^{١٩} انظر : أسس علم اللغة ١٠١ .

^{٢٠} انظر : دروس في الألسنية العامة لـ(ديسوسير) ص ١٦١-١٦٢ .

الجملة) المعهود، عند التأمل والتدقيق، كما يتبين من التحليل أن النحو بمفهومه الواسع يضم في حقيقته جميع العناصر اللغوية بالضرورة، كما أن المكونات التركيبية هي أهم عناصر الدراسة النصية الشاملة.

نصُّ مُعَلِّقَةٍ زُهَيْرٍ

قال زهير بن أبي سلمى المُرَبِّي:

١. أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ
بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَنَلِّدُ
٢. وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا
مَرَّاجِيعٌ وَشَمٌّ فِي نَوَاشِيرِ مِعْصَمٍ
٣. بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً
وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَحْتَمٍ
٤. وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً
فَلَأَيًّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمٍ
٥. أَثَافِي سَفْعًا فِي مُعْرَسِ مِرْجَلٍ
وَأُؤْيَا كَجَذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَلَمَّ
٦. فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا
أَلَا ائِئِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمَ
٧. تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ طَعَائِنٍ
تَحْمَلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْتَمٍ
٨. عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍ
وِرَادِ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةَ الدَّمِ
٩. وَفِيهِنَّ مَلْهَى لِلطَّيْفِ وَمَنْظَرٌ
أَنِيقٌ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ
١٠. وَلَا يَتَنَاهَبْنَ الحَدِيثَ تَنَاهَبَ الإِمَاءُ، وَلَا يَضْحَكُنَّ غَيْرَ

- تَبَسُّ
١١. بَكَرْنَ بُكُورًا وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ
فَهَنَّ وَوَادِي الرُّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
١٢. جَعَلْنَ القَنَانَ عَن يَمِينِ وَحَزْنُهُ
وَكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُجَلٍّ وَمُحْرِمٍ
١٣. كَأَنَّ فُتَاتَ العَهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطِّمْ
١٤. ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ
عَلَى كُلِّ قَيْنِي قَشِيبٍ وَمُفَامٍ
١٥. وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلوْنَ مَتْنَهُ
عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِّمِ
١٦. فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ
وَضَعْنَ عَصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ
١٧. تُدَكِّرُنِي الأَحْلَامُ لَيْلَى وَمَنْ تَطْفُفُ
عَلَيْهِ خَيَالَاتُ الأَحْيَةِ يَحْلُمُ
١٨. سَعَى سَاعِيًّا غَيْظُ بَنٍ مُرَّةً بَعْدَمَا
تَبْزِلُ مَا بَيْنَ العَشِيرَةِ بِالدَّمِ

- ١٩ . فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
رِجَالُ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
- ٢٠ . وباللاتِ والعزى التي يعبدونها
بمكةَ والبيتِ العتيقِ
- الحُرْمِ
- ٢١ . يَمِينًا لِنَعْمِ السَّيِّدَانِ وَوَجْدُثَمَا
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُزَمِّمِ
- ٢٢ . تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَمَا
تَفَانَوْا وَدَقُّوَا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ
- ٢٣ . وَقَدْ قُلْتُمَا إِنَّ نُدْرِكَ السَّلْمِ وَاسِعًا
بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسَلَمِ
- ٢٤ . فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ
بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقِ وَمَأْتَمِ
- ٢٥ . عَظِيمَيْنِ فِي عُليَا مَعَدِّ هُدَيْتُمَا
وَمَنْ يَسْتَبِيحُ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ
- ٢٦ . تُعْفَى الْكُلُومُ بِالْمَيْنِ فَأَصْبَحَتْ
يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً
- ٢٧ . فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِ كُمِ
وَلَمْ يَهْرَيْقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحْجَمِ
- ٢٨ . أَلَا أْبْلِغُ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً
مَعَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ مُزَنِّمِ
- ٢٩ . فَلَا تُكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نُفُوسِكُمْ
وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مُفْسِمِ
- ٣٠ . يُؤَجَّلُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابِ فَيْدَحَرِ
لِيُخْفَى وَمَهْمَا يُكْتُمَنَّ اللَّهُ يَعْلَمِ
- ٣١ . وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ
لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلُ فَيُنْفَمِ
- ٣٢ . مَتَى تَبْعْتُوهَا تَبْعْتُوهَا ذَمِيمَةً
وَمَا هِيَ عِنَّا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ
- ٣٣ . فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا
وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَبْتُمُوهَا فَتَضَرَّمِ
- ٣٤ . فَتُنَجِّجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ
وَتَلْفَحُ كِشَافًا ثُمَّ تُنْجِجُ فُتَيْمِ
- ٣٥ . فَتُعَلِّلُ لَكُمْ مَا لَا تُغَلُّ لِأَهْلِهَا
كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَنْفَطِمِ
- ٣٦ . لَعَمْرِي لِنَعْمِ الْحَيِّ جَرَّ عَلَيْهِمْ
قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفَيْزٍ وَدِرْهِمِ
- ٣٧ . وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكْنَةٍ
بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ
- ٣٨ . وَقَالَ سَأَقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَّقِي
فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ
- ٣٩ . فَشَدَّ فَلَمْ يُفْرِغْ يُبُوتًا كَثِيرَةً
عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْحَمِ
- ٤٠ . لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَدِّفِ
لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمَّ قَشْعَمِ
- ٤١ . جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمُ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ
لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمِ
- ٤٢ . رَعَوْا ظِمْنَهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا
سَرِيعًا وَإِلَّا يُبِيدَ بِالظُّلْمِ يَظْلَمِ
- ٤٣ . غَمَارًا تَفَرَّى بِالسَّلَاحِ وَبِالْدَمِ

- ٤٤ . فَقَضَوْا مَنَآيَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا
إِلَىٰ كَلِّا مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَحِّمٍ
- ٤٥ . لَعْمُرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ
دَمَ ابْنِ نَهْيِكِ أَوْ قَتِيلِ الْمُثَلَّمِ
- ٤٦ . وَلَا شَارَكَتْ فِي الْمَوْتِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ
وَلَا وَهَبٍ مِنْهَا وَلَا ابْنَ الْمُحَزَّمِ
- ٤٧ . فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ
صَحِيحَاتِ مَالِ طَالِعَاتٍ بِمُحْرَمٍ
- ٤٨ . لِحِيٍّ حَلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرَهُمْ
إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
- ٤٩ . كِرَامٍ فَلَا ذُو الضُّعْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ
وَلَا الْجَارِمُ الْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ
- ٥٠ . سَمِمْتُ تَكَالَيْفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ
ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامِ
- ٥١ . رَأَيْتُ الْمَنَايَا حَبِطَ عَشَوَاءَ مَنْ نُصِبَ
ثُمَّتَهُ وَمَنْ تُحْطَىٰ يُعْمَرُ فِيهِمْ
- ٥٢ . رَأَيْتُ سَفَاهَةَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ
وَأَنَّ الْفَتَىٰ بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلَمُ
- ٥٣ . وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ
- ٥٤ . وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
يُضْرَسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسَمِ
- ٥٥ . وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ
عَلَىٰ قَوْمِهِ يُسْتَعْنَىٰ عَنْهُ وَيُذَمُّ
- ٥٦ . وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ
- ٥٧ . وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنْلَنُهُ
وَإِنْ يَرِقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَسْلُمُ
- ٥٨ . وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّهُ
يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكْبَتِ كُلِّ لَهْدَمِ
- ٥٩ . وَمَنْ يُؤْفِ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يُهْدِ قَلْبُهُ
إِلَىٰ مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمَّحَمِ
- ٦٠ . وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَفْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ
- ٦١ . وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
- ٦٢ . وَمَنْ يَعْتَرِبَ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَ
هُوَ مَنْ لَمْ يُكْرَمْ نَفْسُهُ لَمْ يُكْرَمِ
- ٦٣ . وَمَنْ لَا يَزَلُ يَسْتَحْمِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ
وَلَا يُعْنَاهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، يُسَامِ
- ٦٤ . وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَىٰ عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
- ٦٥ . وَكَائِنْ تَرَىٰ مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجَبٍ
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
- ٦٦ . لِأَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مِفْتَاحَ قَلْبِهِ
إِذَا هُوَ أَبْدَىٰ مَا يَقُولُ مِنَ الْفَمِ
- ٦٧ . لِسَانَ الْفَتَىٰ نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالِدَمِ

٦٨ . سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعَدَّا فَعُدْتُمْ وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسَالِ يَوْمًا سَيُحْرَمُ^(٢١)

المُكُونُ الصوتي

المُكُونُ الصوتي يضم الحروف الصوامت، والصوائت، والتنغيم، والنبر، وجميع أنواع التشكيل الأدائي، أو ما يُسمّى بالتلوين الصوتي، الذي تؤدّيه مجموعة من الظواهر القطعية وغير القطعية^(٢٢)، ومنها الطباق والجناس والتقابل والإيقاع والتكرار والسجع والترصيع... إلخ.

وإن النظام النحوي في حقيقة أمره قائم بالدرجة الأولى على الإيحاءات الصوتية، وهذا ما جعل علماء النحو ينشغلون بقرائن الإعراب الصوتية أكثر من غيرها؛ لأهميتها في فهم التركيب وإدراك معانيه ووظائف وحداته، وجعل بعض علماء الصوتيات المعاصرين يقول: "فهم النظام التركيبي للغة ودراسته لا يمكن أن يتم دون معرفة نظامها الصوتي والأدائي، ومدى ما يسهم به هذا النظام الأخير في بناء الجملة، وتركيب الكلام وربط أجزائه بعضها ببعض، بما يمكن أن يسمى - إذا اتحدت قضاياها - النحو الصوتي".^(٢٣)

والمُكُونُ الصوتي لنسق البنية النحوية هو العناصر الصوتية المشار إليها في تنسيق النسيج النحوي، وتركيب المواد المسؤولة عن أداء المعنى الذي هو النتيجة النهائية للنص، والعربي عندما يأتي بتلك العناصر الصوتية في أثناء حديثه إنما يعبر بها عن المعاني النفسية التي تثير إحساسه، وترد في نسق حديثه مؤتلفةً لتلقائياً مع أغراضه دون تكلف، ولم يكن العرب الأفحاح يتمقون في تنغيمهم وإيقاعات ألفاظهم وينتقونها مجرد تحسين اللفظ، بل كانت تأتي على ألسنتهم وفق ما في نفوسهم من الأغراض والدلالات، قال أبو هلال العسكري: "إن الكلام ألفاظ تشتمل على معان تدل عليها،

^(٢١) ديوانه ص ٧٤-٧٩. وجمهرة أشعار العرب ٢٧٩/١، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري ص ٢٣٧، وشرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص ٩٩.

^(٢٢) القطعي هو الحروف والحركات، وغير القطعي هو التشكيل الأدائي المصاحب للكلمات والجمل، مثل النبر والتنغيم والوقف... إلخ.

^(٢٣) علم الصوتيات لعبد العزيز علام وعبد الله ربيع: ٥٣.

ويعبر عنها فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ ، لأن المدار بعد على إصابة المعنى ، ولأن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان ، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة ، ومرتبة إحداهما على الأخرى معروفة ، ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى " .^(٢٤)

وعندما نتأمل هذه القصيدة تتلقانا تلك العناصر الصوتية المكونة لنسقها التركيبي بجلاء، ذلك أن زهير بن أبي سلمى في قصيدته هذه اعتمد على الطاقة الإيحائية للأصوات العربية، يظهر ذلك في الأصوات الصامتة والصائتة، والتواؤم بين الإيقاع والمواقف المتباينة، فظهر فيها حسن اختيار الأصوات الموحية وحسن تنسيقها بما تترابط به الأفكار والألفاظ وتلتزم بوضوح، دون أن يلجأ إلى معازلة لفظية أو معنوية^(٢٥)، أو تنافر بين الأصوات، ومن ثم اتسقت الموسيقى الداخلية والخارجية في نضجه، ومن أهم مظاهر ذلك:

١. الوزن، ويظهر في عناصر عدة في هذه القصيدة، منها: البحر الشعري: فإن القصيدة جاءت على وزن البحر الطويل كلها، وهو بحر مناسب لموضوعات القصيدة، لما فيه من الحد والإثارة الإيقاعية، والتنغيم الجملي:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

فله إيقاع مثير فخم متوازن، مع هدوء في حركة كأيها حركة الجمل يمشي مطمئناً بقوة وثبات، وتلك صفة توافق البيئة العربية التي أنشئت فيها القصيدة.

ومنها: التجانس الصوتي بين الكلمات، نحو: ٦- لربعها/ الربع. ٩- منظر/ الناظر. ١١- بكرنَ بكوراً
 — واستحرنَ بسُحرة. ١٣- منزل/ نزلن. ١٨- سعى ساعيا. ٢٣- السلم/ نسلم. ٢٥-
 عظيمين/يعظم. ٢٩- أقسمتم/ مقسم. ٣٣- وتضررَ إذا ضرَّيتموها فتضررَم (أي تشتد ضراوتها فتشتغل).
 ٣٤- فتعركم/عرك. ٣٦- فتُعَلِّل/ تُعَلِّل (أي تأتيكم بغلات). ٤٢- يُظلم/بظلمه/يُظلم

^(٢٤) الصناعتين لأبي هلال العسكري ٨٤، ط ٢، ١٤٠٤، دار الكتب العلمية - بيروت.

^(٢٥) المراد بالمعازلة تعقيد الكلام وتداخله وخفاء تركيبه حتى يصعب فهم المراد منه، ومنها الإتيان بكلمات غير متناسقة أو غير معبرة عن المعنى المراد.

٤٩ — التَّبَلُّ / تَبْلَهُ (أي حَقْدَهُ وَضِعْنَهُ)... وهكذا يستمر هذا التجانس اللفظي في القصيدة مُكوِّنًا جَرَسًا صوتيًا متناغمًا مع المعنى والتركيب، ذلك أنه عنصر من عناصر الربط اللفظي والمعنوي، والربط من أهم أسس التركيب النحوي؛ لأنه تناسُبٌ يُوَلِّفُ بين الكلمات لتكوين النسق اللغوي المعبر.

٢. التنعيم بالتوافق الصيغي، ورافده النبري، وأكثر ما يتمثل في إكثاره من صيغ المضارع وأوزانها، نحو: ومن يعيش — يسأم — وأعلم — من تصب — من تخطئ — يُعَمَّر — فيهرم — تمته — يصانع — من لا يتق — لم يزد — يُهدِّم — يتجمجم — يطيع — تخفى وهكذا في الأبيات التالية من ٣٠ إلى ٣٦، ومعظم هذه الصيغ على وزن وإيقاع واحد، نحو قوله:

يُؤَجِّلُ، فَيُوضَعُ، فِي كِتَابٍ فَيَدَّخِرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجِّلُ، فَيُنْقِمَ

فقد حفل هذا البيت بالموازنة الصوتية بين الصيغ، والتقسيم والمساواة، أو المحاذاة الصوتية، كما يسميها بعض الصوتيين^(٢٦)، وما يثير الانتباه هنا مجيء هذا التركيب الصوتي في عفوية كاملة تناغمت فيها الأصوات مع المعاني المقصودة تلقائياً، ويرى بعض الباحثين أن هذه الميزة وافرة في شعر زهير على العموم.^(٢٧)

٣. التكرار اللفظي المؤدى بتنعيم أسلوب متوازن، يجتمع فيه الربط الدلالي والصوتي بدرجة واحدة، ومن أظهر ما يمثل هذا أسلوب الشرط وجوابه باستخدام الأداة (مَنْ) مع الربط بالواو، والنبرة الصوتية المؤداة بقريئة الجزم (الحذف) ولولا تلك القريئة الصوتية لما عُرف بين الأسلوب الشرطي والاستفهامي؛ لأن (مَنْ) تصلح لهما معاً، ولكن الأداة الصوتي بقريئتي الحذف الظاهرة في الفعل، والوزن الظاهر في التفعيلة، ميز بينهما، كما في قوله:

* ٤٥ — وَمَنْ لَا يَصَانَعُ ... يُضْرَسُ ... وَيُوطَأُ .

* ٥٥ — وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَسْخَلُ ... يُسْتَعْنَعُ عَنْهُ وَيُدْمَمُ .

* ٥٩ — وَمَنْ يُوْفِ لَا يُدْمَمُ ... وَمَنْ يُفْضِ قَلْبَهُ ... لَا يَتَجَمِّمُ (أي لا يتردد).

* ٦٢ — وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسِبُ ... وَمَنْ لَا يُكْرَمُ ... لَا يُكْرَمُ

^(٢٦) موسيقى اللغة ١٢ .

^(٢٧) انظر: الفكرة والصورة في شعر زهير ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

وهكذا في كل بيت من (٥٤) إلى (٦٥) يوجد ربط صوتي رائع، يمتزج بدلالة أسلوب الشرط، والعطف، والإعراب، فتكوّنت منه بنية نحوية متناسقة أيما تناسق، آخذ بعضها ببعض، في سبك تركيبي ورصف مفهوم لفظاً ومعنى، بطريقة عفوية سلسلة دون تكلف.

ومن مظاهر النبر التنغمي ذي الوظائف النحوية على المستوى الصرفي والمعجمي والتركيبى شيوع الأصوات الطويلة، وهي حروف المدّ، وقد شاعت في القصيدة أكثر من أي صوت آخر، نحو: بحومانة — الدراج — دار لها — كأنها مراجع — نواشر — بها عشرين — ترى — طعائن — العلياء — يتناهين تناهب الإماء — سعى ساعيا — العشيرة — كرام — الجارم — الجاني — تكاليف الحياة — ثمانين — لا أبالك وهذا نوع من التلوين الصوتي الناشئ عن نبر الحركات وإشباعها لتكوين الصيغ وتكوين المواد اللغوية، وللدلالة على الإعراب أحياناً كما في نحو: لا أبالك — عشرين — ساعيا — السيدان — بالمئين — فلا ذو التبل

٤. صوت القافية وحركة الإطلاق، يتمثل هذا المكون لنسق البنية النحوية في حرف الميم، والكسرة المطلقّة، وحرف الميم صوت ذو جهرٍ، متوسط بين الرخاوة والشدة، تلازمه العنة، وهذه صفات قوة في الصوت تقتضي وضوحاً واستمراراً لنغمة ما تصحبه، وتعدُّ هذه القافية رابطاً نحويّاً بالصوت بين جميع أبيات هذه القصيدة، وتعدُّ الروابط النصية أهم عناصر ما يُعرَف حديثاً بـ (نحو النص) الذي يهتمُّ بظواهر التماسك والسبك في النص كله^(٢٨)

وأما حركة الإطلاق فتشمل حركات الآخر الإعرابية والبنائية التالية لهذه الميم في قافية القصيدة، وهي لتحقيق غرض الانسجام الصوتي، أو الموازنة الصوتية^(٢٩)، ولكنها تأتي وفق ما يقتضيها من الإعراب والبناء والتخلص من التقاء الساكنين، ونحو ذلك من دواعي التحريك، وهي حركة يوصل بها حرف الروي في القوافي المطلقة، أي المتحركة الآخر، فإن الحركة القصيرة في هذه القوافي تُشبع لقصد الترم والغناء، فتصير حركة طويلة، وهو نوع من الإتياع، لأنه إتياع صوت بصوت من جنسه حتى يكون طويلاً، فيحقق ذلك ثلاثة أغراض : الأول : الترم بزيادة الصوت وإشباعه

^(٢٨) انظر: نحو النص، لأحمد عفيفي ص ٣٩، وما بعدها.

^(٢٩) انظر : موسيقى اللغة ٤٨ وما بعدها ، والتنغيم اللغوي ٩٣ ، واللهجات العربية في القراءات القرآنية للراجحي

الثاني : المحافظة على حركة الروي — إعرابا كانت أو بناءً — لأنها معرضة للزوال بالوقف، لأن القافية محل وقف.

الثالث : الدلالة على نوع الإعراب أو البناء، في الكلمة بظهور الحركة الموصولة، ضمة كانت أو كسرة، أو فتحة، وهذا لا يتحقق في القوافي المقيدة^(٣٠)، وهي التي يكون فيها حرف الروي ساكناً.^(٣١)

ويمكن تعليل هذه الحركة بأمرين : أولهما: أن الشعر موسيقي، والموسيقى تكون بالحركة والمد، ولا تكون بالسكون في الغالب. وثانيهما : أن الحركات هي التي تؤدي غرض الشاعر من الترم في الشعر، فيشبع الحركة الأخيرة ليمد بها صوته، ويقف بالمد للغرض نفسه^(٣٢). ويُلحِقُ الشعراءُ حروفَ المدِّ الثلاثةَ ما يَنُونُ ومالا يَنُونُ، إذا أرادوا الترم، لأن الترم لا يحقُّه إلا مد الصوت.^(٣٣)

٥. ومن مظاهر المكوّن الصوتي لنسق البنية النحوية في هذه القصيدة: شيوع حروف الصغير فيها، وهي السين والصاد والزاي، نحو: يُصانع — يضرس — بمنسم — أسباب — بسلم — مستكنة — ساقضي — أسد — السلاح — أصدروا — أصبحوا — أصبح — تصب — يعص — صامت — نقصه — نصف — صورة — سئمت — يسأم — سفاه — السفاهة — استحرن بسحرة — الرس — حزنه — متزلا نزلن به — زُرقا — جزعنه — تَبَزَّلَ — العزَّى — كترًا — المزَّم — قفيزٍ — الرِّجَاح ... هذه أمثلة لشيوع الصغير في هذه القصيدة، وهي ظاهرة صوتية فيها كظاهرة شيوع حرف الميم، وقد أكسب ذلك البنية النحوية نسقًا صوتيًا بإيقاع خاص مثير للذهن، يُضفي عليها وحدةً مترابطةً متناسقة مع المعاني.

^{٣٠} انظر : سيبويه ٢٠٤/٤ - ٢١٥، و الوافي بمعرفة القوافي ٢٢٨ - ٢٣٣، وارتشاف الضرب ٤٠٨ - ٤١٠، وشرح الحدود للفاكهي ٤٠٢ - ٤٠٤.

^{٣١} انظر : الوافي بمعرفة القوافي ٢٢٥، و الكافي في علمي العروض والقوافي ١٦٠.

^{٣٢} اللغة العربية معناها ومبناها ٢٧١.

^{٣٣} انظر سيبويه ٢٠٤/٤ - ٢٠٥.

المكوّنُ المعجميّ

المراد بالمكون المعجمي المواد اللغوية التي تكوّنت من الأصوات المجردة، فمنها ما هو مشتق ومنها ما هو جامد، والمواد المعجمية تشمل الأسماء والأفعال والحروف، ولكل عنصر دلالاته الخاصة في نسق البنية النحوية، وعدم مراعاة تلك المعاني المعجمية يؤدي إلى الإخلال بنسق البنية النحوية ثم فسادها برمتها، وإذا كانت الكلمة ذات دلالة معجمية في أصلها فإن تلك الدلالة تحكم موقعها الإعرابي في التركيب، ومن هنا لزم أن يُعلم أن النحو لا يتكوّن من موادٍّ مهملةٍ أو كلماتٍ هوائيةٍ ولا ألفاظٍ وهميةٍ، وإن رُكِّبَ تركيباً موافقاً للنظام المنطقي للجملة في النحو، فإن نظام الجملة المنطقي في اللغة لا يمكن أن يستقلّ بالدلالة النحوية، ما لم تكن ألفاظه ذات دلالة معجمية وضعية أو اصطلاحية معهودة.

ولقد بالغَ الدكتور تمام حسان رحمه الله حين زعمَ أن وضوح المعنى الوظيفي للكلمة في السياق يكفي لمعرفة إعرابها، ولو لم تكن لها دلالة معجمية^(٣٤)، ومثّل لذلك بنسق نُطقي هوائي ثم أعربَه، فقال:

قاصَ التَّجِينُ شِحَالَهُ بِتَرِيْسِهِ الـــــــ فاحِجِي فَلَمْ يَسْتَفْ بِطَاسِيَةِ الْبِرْنِ

ثم أعربَه على أن (قاص) فعل ماضٍ، و(التجين) فاعل، و(شحال) مفعول... إلخ^(٣٥). مستدلاً بذلك على أنه يمكن تكوين نسقٍ نحويٍّ وإن لم يصح الكلام من جهة الدلالة المعجمية.

وهذا الذي ذهب إليه غير صحيح البتة، بل يُعدُّ من المستحيل، ذلك أنه فاتَه أن يُدرك أن إعرابه لتلك الألفاظ وتنسيقها على ذلك الوضع جاء بناءً على ما تصوَّره في ذهنه من البدائل المعجمية الصحيحة، ولولا ذلك لَمَا أمكن إعرابها ولا تعليق بعضها ببعض، فقد افترض ذلك النسق النطقي وقاسه على نحو:

ساقَ الدَّلِيلُ جِمَالَهُ بِطَرِيقَةِ الـــــــ وادِي فَلَمْ يَنْزِلْ بِناحِيَةِ الْبَلَدِ

ولولا ذلك لَمَا عُلم بين كون الكلمة فعلاً متعدياً أم قاصراً؟ واسماً هي أم فعلاً أم حرفاً؟ ومتقدمة أم متأخرة، ومذكورة أم مؤنثة؟ وعاقلة أو غير عاقلة؟ وعلى أي عدد تدلُّ؟... وهلمَّ جرّاً، فلو جعلنا مكان (قاص) أي لفظة صحيحة على نسقها النطقي نحو: (لات) فهل يصح أن تُعربَ فعلاً ماضياً ويتعلق بها فاعل ومفعول؟ فدل هذا

^(٣٤) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٨٢ - ١٨٤.

^(٣٥) السابق ١٨٣

على أن الكلمة لا يمكن أن تأخذ مكاناً تُعربُ فيه بنسقِ البنية النحوية إلا بصحتها مُعجمياً، والجملة لا تنتمي إلى نظام النظرية النحوية إلا بصحة دلالة كلماتها المعجمية.

ويتكون نسق البنية النحوية من الكلمات المعجمية بعد مراعاة حُسن دلالتها، وجودة تركيبها، وموافقها لمواقعها في السياق^(٣٦)، وللمتكلمين مناهج وقدرات متفاوتة في تنسيق النسيج النحوي من تلك الكلمات، ونظر في الكلمات المعجمية في معلقة زهير من الأوجه الآتية :

١ — الغرابة والألفة والابتدال: معايير الغرابة والألفة والابتدال تختلف من زمن لآخر، وبحسب البلدان، وتخضع للدرجة الثقافية والعلمية إلى حد كبير، والنص الذي أمامنا نصٌّ جاهليٌّ مضى عليه حوالي خمسة عشر قرناً من الزمن، ويعني ذلك أن لغته قد تكون غير مألوفة الآن، وأن منها ما ليس بمألوف أو غير مستعمل، إلا لدى طبقة خاصة من طبقات المثقفين، والشعر الجاهلي يتسم عموماً بالقوة اللفظية، والجزالة والفخامة، كما تشيع فيه السهولة والوضوح، والكلمات المبتدلة عندهم قليلة، قال حازم القرطاجني: " ثم اعلم أن الابتدال في الألفاظ وما تدل عليه ليس وصفاً ذاتياً، ولا عَرَضاً لازماً، بل لاحقٌ من اللواحق المتعلقة بالاستعمال في زمانٍ دون زمان، وصُقْعٌ دون صُقْعٍ ".^(٣٧)

وإذا سَبَرْنَا ألفاظ هذه القصيدة بمعيار لغة عصرنا سنجد منها ما يقرب من الابتدال وإن كان غير ذلك في عصر الشاعر، ومن الأمثلة على ذلك:

أ — كَلِمَتَا: الأحلام، وتُذَكِّرُنِي، في قوله: تذكُرني الأحلام ليلي ومن تَطْفُ به خيالاتُ الأُحبة يحلم

ب — كلمة: (ظلم) في البيت ٤٢، لكثرة تكرارها بدون فائدة.

ج — كلمة (يستحمل) في البيت ٦٣.

د — كلمتا: تنتج، وتُرضع، في البيت ٣٥: فتنج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عادٍ ثم ترضع فتفطم

ه — كلمة (شاركت) في البيت ٤٦: ولا شاركت في القتل....

^{٣٦} انظر لهذا المفهوم: دلائل الإعجاز لعبد القاهر ص ٥٢٠-٥٣٠. فقد أكده بمزيد بيان.

^{٣٧} ذكره عنه السيوطي في المزهري ١/ ١٩١، نقلاً عن السبكي في "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح" ونقله عنه محقق منهاج

وليس سبب هذا الابتدال ههنا فقدان الكلمة لدلالاتها الفصيحة، ولكن لشيوع هذا الاستعمال والأسلوب على ألسنة العامة، أعني أسلوب: "شارك في.....".

وأما الغرابة فقليلة في شعر زهير، وإنما توصف الكلمة بالغرابة إذا كانت وحشيّة لا يظهر معناها^(٣٨)، ونجد السمة العامة في هذه القصيدة عدم الغرابة، فإذا تأمل القارئ الأبيات من (٥٠) إلى (٦٧) يجدها كلها كلمات مألوفة قريبة المأخذ، سوى ثلاث أو أربع تقريبا، كقوله: لَهْدَمَ(الرمح الطويل) وَيُضْرَسُ(يُعَضُّ بالأضراس). وعشواء (الناقة لا ترى بالليل). والزجاج(الحديدة في أسفل الرمح).

وأما ما قبل ذلك من مستهل القصيدة إلى البيت (٥٠) فتتخلله الغرابة بالنظر إلى لغة عصرنا هذا، وإن كان الأمر ليس كذلك في عصر الشاعر، وهذه أمثلة منها:

معناها	الكلمة	معناها	الكلمة	معناها	الكلمة	معناها	الكلمة	معناها	الكلمة
البقر الواسعة العيون	العِينُ	عروق معصم اليد	نواشر معصم	جمع مرجوع	المراجع لحرتين	اسم لحرتين	الرقمتان	ما اسودّ من آثار الديار	الدّمنة
بُجْهْدٍ ومشقة	فَلَأْيَا	مكان الجُثوم	الجُثَم	أولاد الطبّاء	الأطلاء	بعضها خلف بعض	خَلْفَةٌ	الطبّاء	الآرام
مجرى الماء حول البيت	التُّوْي	القِدر	المِرْجَل	مكان التزول ليلاً	المعرّس	سود	سُفَع	الحجارة توضع عليها القِدر	أثافي

^{٣٨} (المزهر في علوم اللغة ١/ ١٨٦).

عِنَب التعلب	الفَنَا	الأرض الغليظة	الْحَزَنُ	مشاهدة	مشاهدة	ستر رقيق	كِلَّة	الأصل	الجِذْمُ
صافيا	زُرُقًا	رَكِبِنَ الأوراك	وَرَكْنَ	مُوسِعَ	مُفَامَ	رَحَالَ جديد	فَيْنِيَّ قشيب	الصوف	العِهْنُ
المعَلَّمُ بعلامة	المزْتَمُ	صغير الإبل	الإفَالُ	المال قديم	التِلَادُ	ضعيف	سحيل	تشقَّقُ	تَبَزَّلُ
تشقَّقُ	تفرى	مستتره	مستكِنَةٌ	مَرَاتٍ	كِشَافًا	جِلْدَةٌ	ثفال	تطحنكم	تعرككم

هذه أمثلة للكلمات الغريبة في القصيدة، وهي مع غرابتها بالنسبة لعصرنا ليست على درجة واحدة من الغرابة، فكثير منها يُفهم المراد منه في السياق أو بعد التأمل، فليس لغرابتها أثر في تماسك نسق البنية النحوية.

٢ — الجزالة والرقعة: من السمات التي توصف بها كلمات معجم البنية النحوية كونها ذات جزالة وقوة، أو ذات رِقَّة ولين، غير أنه ينبغي ألا تكون الجزالة مؤديةً إلى الإيغال في الغرابة بعيدة عن الفهم، وألا تكون الرقعة إلى حد الابتدال والسوقية، فإن ذلك يضعف البنية ويجعل النسيج النحوي ركيكاً، وفي قصيدة زهير جزالة واضحة مع رِقَّة في بعض الألفاظ، تقتضيهما المعاني والسياق، ومن ألفاظه الجزلة — وهي كثيرة — قوله:

٣٠. فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمُ

٣١. يُوجَلُّ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيَدَّخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلُ فَيُنْتَقَمُ

٣٢. وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ

فانظر إلى وضوح هذه الألفاظ مع جزالتها وقوتها، وهذا قد أضفى على نسق البنية النحوية قوَّةً وتماسكاً ووضوحاً للوظائف النحوية من فاعلية ومفعولية وإضافة ونحو ذلك، وهكذا تستمر الجزالة في القصيدة إلى البيت (٥٠) وقد يخلط هذه الجزالة ببعض الألفاظ الرقيقة كما في قوله:

وَوَرَكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُونَ مَتْنَهُ عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِمِ

فصدر البيت كله كلمات جزلة، وأما عجزه فتظهر عليه الرقة. وأحياناً يأتي بيت كله رقيق، نحو قوله:

وَفِيهِنَّ مَلَهَى لِلطَّيْفِ وَمَنْظَرٌ
أُنَيْقُ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ

وسبب هذا أنه أتى بكلماته حيث تناسب مع أغراضه، فأورد الألفاظ الجزلة في مقام الجِدِّ والقوة، ولما جاء يخاطب عقول الناس بأمور مسلمٍ بما عقلياً، ويصف الطعائن وحديثهن مال إلى الرقة واللين.

٣- التكرار: ينبغي أن تُستخدم الكلمات المعجمية استخداماً وظيفياً في سياق البنية النحوية؛ لأن نسق البنية النحوية لا يقوم إلا على أساس انفراد كل كلمة بدلالاتها الرابطة بينها وبين سياقها، ويأتي تكرار الكلمة في نسق البنية القوية في صورتين: إحداهما: التأكيد. وثانيتها: التناسب والتجانس الصوتي مع اختلاف المعنى، وفي قصيدة زهير عدد غير قليل من أمثلة هذه الظاهرة.

وتكراره يشمل الكلمات والحروف والحركات، وغالبه تكرار ثنائي، من نوع الصورة الثانية، وهي التجانس اللفظي مع اختلاف المعنى، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

٦- فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا
أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبُّعُ وَأَسَلَمِ
٩- وَفِيهِنَّ مَلَهَى لِلطَّيْفِ وَمَنْظَرٌ
أُنَيْقُ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ
١٠- وَلَا يَتَنَاهَبْنَ الحَدِيثَ تَنَاهَبَ الـ
إِماء، وَلَا يَضْحَكْنَ غَيْرَ تَبَسُّمِ
١١- بَكَرْنَ بُكُورًا وَأَسْتَحْرَنَ بِسُحْرَةٍ
فَهِنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ

١٢- جَعَلَنَ القَنَانَ عَن يَمِينِ وَحَزَنَهُ
وَكَمَ بالقَنَانِ مِنْ مُجِلٍّ وَمُحْرَمِ
١٣- كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلِ
نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطِّمِ
١٨- سَعَى سَاعِيًّا غَيْظُ بَنٍ مُرَّةً بَعْدَمَا
تَبْزَلُ مَا بَيْنَ العَشِيرَةِ بِالدمِ

٢٣- وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السَّلْمَ وَأَسِعَا
بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسَلِمِ
٢٥- عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدَيْتُمَا
وَمَنْ يَسْتَبِيحُ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يُعْظَمِ
٢٨- يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ
وَلَمْ يَهْرَيْقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحْجَمِ
٢٩- أَلَا أبلغ الأَحْلَافِ عَنِّي رِسَالَةٌ
وَدُبْيَانٌ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مُقْسَمِ

٣٣— متى تَبَعْتُوْهَا تَبَعْتُوْهَا ذَمِيمَةً وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضَرَّمْ

إنَّ هذا النوع من التكرار يفيد البنية النحوية قوةً وتأكيدياً وتماسكاً لفظياً ومعنوياً، والشاعر هنا يأتي بالكلمة في بيت ثم يصرفها تصريفات متنوعة، من اسم إلى فعل، ومن فعل إلى اسم فاعل أو مفعول، ومن المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، ومن المفرد إلى الجمع، كما في قوله:

٣٤— فتعزركم عزك الرحي. ٣٦— فتُعَلِّلُ لكم ما لا تُغَلُّ لأهلها...

٤٢— يَظْلِمُ....بَظْلَمِهِ....بِالظُّلْمِ....يَظْلِمُ. ٤٣— رَعُوا ما رَعُوا...

٤٧— ألف بعد ألف.. ٥٣— وأعلم ... عن عِلْمٍ. ٥٥— فَضَّلِ بفضلِه..

٥٦— لا يَظْلِمُ يَظْلِمُ. ٥٧— أسباب...ينلنه....نال.....أسباب...

٦٠— وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يَشْتَمُ. ٦٢— ومن لا يُكْرِمُ نفسه لا يُكْرَمُ.

ولا يخفى تكراره لكلمتي (مَنْ) الشرطية، و(لا) النافية، بكثرة في هذه القصيدة، ولكن قد صاحبت كل واحدة دلالة وتجربة حقيقية تضيف عليها أنواعاً من المعاني، فأورثت نَسَقَ البنية تماسكاً وقوة في المعنى وجزالة في اللفظ.

٤— الطباق: من أوصاف كلمات المعجم في نسق البنية النحوية المترابطة استخدام الكلمات المتضادة المعاني، أو المختلفة المعاني وإن لم يكن بينها تضاد "إذ الضد ضربٌ من الخلاف والمغايرة، وإن لم يكن كلُّ خلافٍ ضدًّا"^(٣٩). ومن أمثلتها في قصيدة زُهَيْرٍ: ٣— نهَضْنَ — مَجْتَمَ. ١٢— مُجَلِّ — مُحْرِمَ. ١٣— فَنَاتِ الْعِهْنِ — حَبِّ الْفَنَاءِ لم يُحَطِّمَ. ٢١— سَحِيلَ — مُبْرَمَ. ٣٠— يُخْفَى/يَكْتَمَ — يَعْلَمَ. ٣١— يُوَجَّلَ — يُعَجَّلَ. ٥١— تُصِيبَ — تَتْرَكَ / تَمَّتْهُ — يُعَمَّرُ. ٥٣— الْيَوْمَ — الْأَمْسَ. ٦١— حَمْدُهُ — ذَمًّا. ٦٢— عَدُوًّا — صَدِيقَهُ.

^{٣٩} (شرح التصريف الملوكي لابن يعيش ٩٨.

إن هذا النوع من العلاقة بين كلمات المعجم يمثله التقابل والتعلق العكسي، "وهذه العلاقة تنتج علاقة دلالية رابطة بين كل مفردتين متعاكستين، مع ما تحمله كل مفردة من قيمة خلافية تفترق فيها عن قرينتها"^(٤٠) وهذا يثري اللفظة المعجمية بحظ وافر من القيمة الدلالية في السياق، ويضفي هذا النوع من استخدام المعجم على البنية النحوية تماسكاً داخلياً، مع ما فيه من القدرة في استعمال اللغة والتوسع في ألفاظها، وكلما كان المعنى مؤثراً في النفس دل ذلك على قوة السبك والنسق، والطباق يؤثر في النفس أيما تأثير، بسبب ما يحمله من معانٍ متباينة متضادة لا تداخل بينها ولا التباس، ومن هنا قيل: "والضد يظهر حسنه الضد" و يكون ذلك بأن يوضع أحد المعنيين المتضادين وضْعاً متلائماً^(٤١)، وهذا واضح في الأمثلة التي تقدم إيرادها.

المكوّن الصرّفِيُّ

ثالثُ عُنْصُرٍ مما يتكوّنُ منه نَسَقُ البِنْيَةِ النحويّةِ المكوّنِ الصرْفِي، وهو الوحدات اللغوية المفيدة لمعانٍ صرفية، والمعاني الصرفية إما دلالات عارضة بسبب، وإما دلالات ثابتة غير معجمية، فالأولى هي "ما يعرض للكلمة قبل التركيب، كالتصغير والجمع والمبالغة والمفاعلة والمطاوعة والطلب"^(٤٢) ويُعرف بصيغه الدالة عليه، وهي المسماة بالصيغ التصريفية، وتتكون عن طريق التغيير بالزيادة أو الحذف أو الإبدال أو الإدغام، أو التحريك أو التسكين وما شابه ذلك.^(٤٣)

وأما النوع الثاني فيأتي في التصنيف الصرفي للكلمات، فإنها تنقسم إلى أسماء وأفعال وحروف، وفي كل قسم أنواع كثيرة، ولكل نوع أحكام ومعانٍ خاصة به، نحو تقسيم الاسم إلى مبني ومعرب وجامد ومشتق ومعتل وغير معتل، وجمع ومثنى ومفرد، وموصول وإشارة، ومذكر ومؤنث...إلخ. وتقسيم الفعل إلى ماض ومضارع وأمر، ومعتل وغير معتل،

^{٤٠} (في تحليل الخطاب الشعري، ص ٥٠ — ٥١ (بتصرف يسير).

^{٤١} (انظر منهاج البلغاء للقرطاجني ص ٤٨ .

^{٤٢} (شرح التسهيل لابن مالك ٣٤/١ .

^{٤٣} (انظر شرح التصريف الملوكي لابن يعيش ٩٩ . والمتع لابن عصفور ص ٣١ . وشرح الشافية للرضي ١ / ٣ — ٧

ومبني ومعرب... إلخ. وتقسيم الحروف بحسب معانيها المعروفة في كتب معاني الحروف، وهي كثيرة، فهذا كله معانٍ مستفادة من التقسيم الصرفي للكلمات، والبنية النحوية لا تتكون دون مراعاة دقيقة لمعاني هذه الصرفيات، ووضع كل كلمة في موضعها الذي تدل فيه دلالة واضحة، بحيث تتأثر البنية باستبدال غيرها بما في ذلك الموقع، ومن الطريف قول بعض العلماء بعد تأمل هذا الموضوع: "اعلم أن الصرفَ أمُّ العلوم، والنحو أبوها"^(٤٤)، وهو يعني ما يؤكد علماء النحو من أن الصرف يُعنى فيه بدوات الكلم وأوضاعها غير العارضة، فهو على هذا أصلٌ للتركيب الذي يعرض بعدُ.

وفيما يلي استعراض لأهم الظواهر الصرفية التي لها تأثير مباشر في تكوين نسق البنية النحوية في معلقة زهير:

١- المشتقات وأوزانها: شاعت الصيغ المشتقات أو الزيادة في هذه القصيدة بأوزان متنوعة، وأبرز الأوزان التي لها أثر

لفظي ومعنوي في القصيدة ما يلي:

أ- مفاعِل وما وزنه : كمراجع ونواشير، وطمعائن، ومغانم...

ب- فِعَال، نحو: - جِمام - كِشاف - غِمار - - جِلال - كرام -

ج- مُفَعَّل، ومِفْعَل، ومُفْعَل، ومُفْعَل: كُمُثَلَم - مِعْصَم - ملجم - معرّس - مِحْجَم - مِرْجَل - مُحْرَم - مُحْرَم - مُبْرَم - مَنَشَم - مَأْتَم، المَزْتَم - مُقَسَم - المُرْجَم - مُحزَم - مُصْتَم - مُسَلَم - مُعْظَم - مُقَدَّف - مَجْتَم - مَنظَر - مُجِلَّ - مُفَأَم...

د- تَفْعُل وتَفْعَل (اسمًا وفِعلاً) وتفاعِل: تَكَلَّم - توهُم - تتلَّم - تبصّر - تحمّل - تناهب - تبسّم - تَبزَل - تدارك - تفانى - تقدّم - تفرّى -

^(٤٤) المِفراح في شرح مراح الأرواح في التصريف ص ٩. وصاحب المقالة هو مصنف مراح الأرواح: أحمد بن علي بن مسعود.

وهذه المشتقات تشيع في البنية النحوية دلالات مهمة، منها: الدلالة على أحداث الأفعال المشتق منها، ومنها الدلالات الصرفية لكل صيغة، كالمبالغة والتأكيد والمشاركة والتكثير والمكان والزمان والتعظيم، والحركة والتفاعل والاستمرار والثبات والظهور والصيرورة، ونحو ذلك من المعاني التي تمدُّ بها هذه المشتقات البنية النحوية.^(٤٥)

٢ — الأفراد والجمع: شاعت الجموع في هذه القصيدة على أوزان متنوعة، منها ما هو للكثرة، ومنها ما هو للقلة، وهذه أمثلة لذلك:

أ — جموع الكثرة: مَراجِع — نواشِر — العِينُ — أثافيٌّ — سُفَع — ظِعائن — عِتاق — وِراد — إماء — زُرُق — عِصبيّ — رِجال — عُقوق — تِلاد — مَغانم — كُلوم — نفوس — غِلْمان — قُرَى — مَنايا — رِماح — كِرام — تكاليف — أمور — العوالي — حواشي

ب — جموع القلة: آرام — أطلاء — أنماط — أحلام — أحلاف — أنياب — أطراف ...

والتأمل يجد أن كل جمع قد ورد في المكان الذي يفيد فيه معنىً موافقاً لسياقه، متناسقاً مع سائر عناصر البنية النحوية، ومن أمثلة ذلك استعمال الشاعر لفظ (تكاليف) في البيت المتم خمسين: "سئمت تكاليف الحياة...." بدلاً من المفرد (تَكْلِفَة) للتدليل على تنوع مشاق الحياة وكثرتها، وأنه مُحِقٌّ في مله منها، وفي البيت الثالث والخمسين استعمل كلمة (غِد) وهي مفردة لفظاً، ولكن معناها الجمع؛ لأن المراد بها المستقبل كله، وفي البيت الرابع والخمسين جاءت كلمة (أنياب) جمع قلة في بيان ما ينتج عن عدم المصانعة في أمور كثيرة، فدل ذلك على أنه عبّر بجمع القلة وهو يريد الكثرة، واستكفى بقرينة التنوين في كلمة (أنياب) للدلالة على تعظيم المعنى وتكثيره؛ لأن غرضه التنفير من عدم المصانعة والمداراة في شؤون الحياة.

٣ — التعريف والتنكير: استعمل الشاعر التنكير والتعريف في تأسيس بنيته اللغوية وفق دلة كلٍّ منهما، وتأمل أماكن ورودها يضح ذلك بجلاء، وهذه أمثلة على ذلك:

قوله: عَلَوْنَ بِأَنماطِ عِتاقٍ وَكِلَّةٍ وَرِادِ حَواشِيها مُشاكِهَةَ الدَّمِ
وَفيهِنَّ مَلهى لِلطِّيفِ وَمَنْظَرٌ أُنِيقُ لِعِينِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ

^(٤٥) انظر مزيداً من دلالات المشتقات في كتاب معاني الأبنية في العربية، للدكتور فاضل السمراي.

جاءت الكلمات: (أَنمَاطٍ) و(كَلِمَةٍ) و(مَلَهَى) و(مَنْظَرٌ) منكرات ومنونات؛ للتدليل على الفخامة وكثرة الألوان، وبلوغ الغاية في الجمال، لأن غرض الشاعر لفت انتباه غيره إلى صفة الهيئة الجميلة لتلك النسوة على تلك الحال، والتعبير عن شدة إعجابه وتعلقه بتلك المناظر.

وفي البيت الثاني عشر: "..... وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرَمٍ" وردت كلمتا (محِلٌّ ومحْرَمٌ) منكرتين للمبالغة والتعميم، لتوافقا ما تدل عليه (كم) الخبرية من الكثرة والشياع. وأما قوله: "عَلَى كُلِّ قَيْنِي قَشِيْبٍ وَمُفْأَمٍ" فقد استعمل كلمة (قَيْنِي ونعتيها) منكرة؛ لإفادة التنوع والتعدد؛ لتوافق دلالة كلمة (كل) التي أضيفت إليها، وهي من ألفاظ العموم والشمول. وعلى نحو من ذلك جاءت كلمة (كنزاً) في قوله: "وَمَنْ يَسْتَبِحُ كَثْرًا مِنْ الْمَجْدِ يَعِظُمُ" منكرةً للتعميم وعدم الحصر؛ لأنه في معرض المدح والتفخيم لأفعال المدوح، وهي بذلك توافق كلمتي (المجد) و(يعظم) الواردين في سياقها.

وفي قوله: "ولا يتناهبنَ الحديثَ تناهَبَ الإماء.." عرّف كلمتي (الحديث والإماء) لإرادة الجنس والعموم؛ إذ المراد أنهن لسن كجنس الإماء في تناولهن للحديث أيًا ما كان الحديث. وتأتي كلمتا(المئين والكلموم) كذلك معرفتين للتحويل والتعظيم، وعرّف كلمتي (اليوم والأمس) في البيت الثالث والخمسين للدلالة على الحصر والتعيين؛ لأنهما زمانان معلومان محدّدان، خلافاً لكلمة(غد) الواردة في البيت نفسه كما تقدم.

وهكذا نجد الشاعر يؤسس نسق البنية النحوية في نصه بعنصري التعريف والتنكير براءة تلقائية، جعلت النص كله في وتيرة واحدة من التوافق والتناسب اللفظي والمعنوي.

٤— الأسماء والأفعال: تقدمت أمثلة كثيرة للأسماء، والقاعدة في استعمال الاسم والفعل في البنية النحوية قائمة على أساس إفادة الاسم للثبوت والدوام، وإفادة الفعل للتجدد والانتقال، قال عبد القاهر الجرجاني: "وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المُثَبَّت به شيئاً بعد شيء"^(٤٦) ثم قال: "ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولاً وتزجية فعلٍ ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً"^(٤٧).

من أمثلة ذلك في قصيدة زهير قوله:

^{٤٦} (دلائل الإعجاز ١٧٤).

^{٤٧} (دلائل الإعجاز ١٧٥. وانظر: شرح التلخيص للبارقي ص ٢٧٦).

وفيهنَّ مَلْهَى لِلطَّيْفِ وَمَنْظَرٌ أَنْبَقُ لَعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ

قال: "ملهى" ولم يقل "يلهو" لأنه أراد أن هذه حالهن دوماً، وليس ذلك بشيء ينتقل عنهن بحال، وقال: "أنبق" ولم يقل: "يؤنق"^(٤٨) لأنه يريد أن الجمال ثابت فيهن باستمرار، وقال: "الناظر المتوسم" بدلا من الذي ينظر ويتوسم؛ لأنه أراد التدليل على ثبوت ذلك للناظر لهن دوماً، وليس ذلك لمن ينظر ويتوسم حيناً دون حين. وكل ذلك لأجل الملازمة بين اللفظ والغرض الذي هو المدح وتأكيده ثبوت الصفات المحمودة في الممدوحات.

ويتجلى ذلك في قوله: "لدى أسدٍ شاكي السلاح مُقَدِّفٍ... جريءٍ" ولم يقل: أسد يشكو السلاح يُقَدِّفُ يجرؤ؛ لأنه أراد أن هذه أوصافه الثابتة فيه على الدوام والاستمرار، وذلك أبلغ في إثبات الشجاعة المتناهية للممدوح، وتحذيل عدوه عنه.

واستعمل الشاعر الفعلين: "يمشين وينهضن" في البيت الثالث للتدليل على كثرة تعاهد الأطباء والأطباء لذلك المكان زمناً بعد زمن باستمرار، كما يفيد المضارع، ونجده يكثر من استعمال الفعل الماضي في مقدمة قصيدته، وهو قد افتتحها بالنسيب والوقوف على الأطلال بعد زمن طويل يصل عشرين حِجَّةً، فدلت هذه الأفعال الماضية على انقضاء كل هذه الأمور التي ذكرها، وأن وقوعها أمر قد تحقق، وذلك يبعث في النفس الذكرى للماضي وما حصل فيه، وهاج ذلك في نفسه أشياء كثيرة كان عهدها في الماضي زمن صباه، ومن ثمَّ نجده يقول: تحمَّلتُ بالعلياء — علون بأتماط — بكرن بكورا — جعلن القنان — نزلن به — ظهرن إلى السوبان ثم قطعنه — وردن الماء — ثم يعطف على ذلك ما قد حدث في تلك الحرب التي دارت بين عبس وذيبيان، فجعل يعبر عنها بالأفعال الماضية أيضاً؛ لأنه يروي أحداثاً مضت وأموراً وقعت وانقضت.

ثم نجده بعد ذلك يستعمل الفعل المضارع ويكثر منه؛ لإفادة التجدد والاستمرار، ولاسيما في مواطن الحكيم، نحو:
 فَلَا تَكْتُمَنَّ ... لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمُ يُؤَجِّلُ فَيُوضِعُ ... فَيَدَّخِرُ... أَوْ يُعَجِّلُ فَيُنْقِمُ مَتَى تَبْعَثُوهَا
 تَبْعَثُوهَا... وَتَضُرُّ... فَتَضُرُّكُمْ... فَتَعْرُكُكُمْ... وَتَلْقَحُ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتِجُ فَتُنْتِجُ فَتَنْتِجُ فَتَنْتِجُ ... ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَفْطِمُ فَتُعَلِّلُ لَكُمْ مَا
 لَا تُعَلِّلُ ... وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ... يُضْرَسْ بِأَثْيَابٍ وَيُوطَأَ وَمَنْ يَكُ .. فَيَبْخَلُ ... يُسْتَعْنِ عَنْهُ وَيُذَمُّ وَمَنْ لَمْ يَدُدْ ... يُهَدِّمُ
 وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ.... وهكذا غلب الفعل المضارع إلى نهاية القصيدة؛ للتدليل على التجدد والاستمرار مع الزمن، والتغير من حال إلى حال؛ لأن الشاعر هنا يعبر عما في نفسه من المعاني التي يريد إقناع الناس بها، لتكون لهم منهجاً يسرون عليه باستمرار، وهي مخاض تجاربه في الحياة.

^(٤٨) الأنيق: هو المُعْجِب، من آنق يُونق فهو مونق وأنبق (انظر: شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص ١٠٧)

ومن هنا يحق لنا أن نقول إن ترتيب هذه الألفاظ بهذه الطريقة في نسق البنية النحوية جاء وفق أغراض المتكلم، ولم يأت اعتباراً، ولا رصفاً للألفاظ وفق الأوزان والإيقاعات، بل كان ذلك وفق المعاني المقصودة أساساً، وهذا هو أساس النظرية النحوية، وهو قاعدة التركيب لدى العرب، قال عبد القاهر الجرجاني: "إنَّ اللفظ تَبَع للمعنى في النظم، وإنَّ الكَلِمَ تترتَّب في النطق بسبب ترُتَّب معانيها في النفس، وأما لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداء حروفٍ لَمَا وقع في ضمير ولا هجسٍ في خاطرٍ أن يجبَ فيها ترتيب ونظمٌ، وأن يُجْعَل لها أمكنةٌ ومنازلٌ، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك".^(٤٩)

وقال أبو هلال العسكري: "إن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة، ومرتبة إحداهما على الأخرى معروفة، ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى فهماً له فيها من صنعة الكلام مثل ما فهماً له في الأولى".^(٥٠)

المُكوّنُ التَّركيبيُّ

المراد بالمكوّن التَّركيبي العنصر ذوات الوظائف الإسنادية ومخصّصاتها وما يتعلق بها، كالفاعلية والمفعولية والإضافة^(٥١)، وكذا وظائف الإعراب ومواقعه، والمؤثرات التي تنشأ عنها العلاقات بين مفردات النص وجمله، وتركيب البنية إنما هو انتظام عناصرها وتناسبها على نسقٍ واحد، لا فرق في ذلك بين العناصر الصغيرة كالكلمات والأدوات، والعناصر الكبيرة كالجمل والفقر، فإن التنسيق والتنظيم الكائن بين هذه العناصر بحيث يتكوّن منها هيكلٌ واحدٌ متناسب الأجزاء معنيٌ ولفظاً هو التركيب، وهو المراد بالبنية النحوية المتكاملة، ويجب على النظرية النحوية أن تستوفي عناصر هذا التكوين بجمعها؛ لئنشئ قانوناً وقواعداً منضبطةً للنسق اللغوي القويم، وفق ما ورد في النصوص الفصيحة.

^{٤٩} (دلائل الإعجاز ص ٥٦).

^{٥٠} (الصناعتين لأبي هلال العسكري ٨٤).

^{٥١} (انظر: شرح التسهيل لابن مالك ٣٤/١).

ولقد أحسن الشيخ عبد القاهر الجرجاني في التعبير عن ذلك بقوله: "لا نَظَمَ في الكَلِمِ ولا ترتيب حتى يُعَلَّقَ بعضها ببعض، ويُبْنَى بعضها على بعض، وتُجْعَل هذه بسببٍ من تلك".^(٥٢)

ثم شرح ذلك فقال: "إذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول له غير أن تعمد إلى اسمٍ فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تُتْبِعَ الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفةً للأول، أو تأكيداً له، أو بدلاً منه، أو تجيء باسمٍ بعد تمام كلامك على أن يكون صفةً أو حالاً أو تمييزاً، أو تتوَحَّخَى في كلامٍ هو لإثبات معنى أن يصيرَ نفيًا أو استفهامًا أو تمنياً، فتُدْخِل عليه الحروفَ الموضوعَةَ لذلك، أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطاً في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضُمَّت معنى ذلك الحرف، وعلى هذا القياس"^(٥٣)

هذا الذي شرحه عبد القاهر هو فكرة التركيب، وهي المسماة عنده بالنظم، وفيه قال العلامة حازم القرطاجني: هو "صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ والعبارات، والهئية الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض، وما يُعْتَمَد فيها من ضروب الوضع وأنحاء الترتيب"^(٥٤).

وعلى هذا الأساس يلتزم نسق البنية النحوية للنص، ويكتمل النسيج النحوي فيها، وإذا تأمل المرء هذا الوصف عَلم أن التركيب لا يحصل إلا باجتماع جميع العناصر اللغوية المؤدية للمعاني المقصودة، وما تحدّث عنه عبد القاهر هنا هو قانون الربط بين الكلمات عن طريق تعليق بعضها ببعض، وهذا هو تكوين الجُمْل في البنية النحوية، ثم يأتي بعد ذلك بناء النص كاملاً بالربط بين الجُمْل، والتوفيق بينها بعناصر لفظية أو معنوية أو مقامية، وتتخلل ذلك عناصر صوتية وأدائية، ومقاطع وفواصل ذات وظائف إيحائية في أثناء الحدّث الكلامي، ثم يأتي أيضا التوفيق بين المعاني لتكون متناسبة في صور متلائمة، وعبارات متألّفة في ألفاظها وما يتعلق بها من أزمنة وأمكنة ومناسبات^(٥٥)، وكل ذلك داخل في النسيج النحوي، وبهذا تكتمل العناصر التي تُصنَع منها النظرية النحوية^(٥٦)، وقد أكد اللسانيون المحدثون هذه المسألة، وأداروا عليها كثيرا من

^{٥٢} (دلائل الإعجاز ص ٥٥).

^{٥٣} (السابق نفسه).

^{٥٤} (منهاج البلغاء ص ٣٦٣).

^{٥٥} انظر منهاج البلغاء، لحازم القرطاجني ص ٣٣-٣٥. وانظر: شرح التلخيص للبارقي ص ١٤٨-١٤٩.

^{٥٦} (انظر النظرية النحوية، لسجيفري بول ص ٧١ وما بعدها).

الدراسات، قال دي سوسير: "ولا تكون لسلسلة من الأصوات صفة لسانية إلا إذا كانت حاملة لفكرة أو معنى، أما لو حلت هذه السلسلة من الأصوات من حامل المعنى، فلا تكون حينئذٍ إلا مادة وموضوعاً لدراسة فزيولوجية، ويصدق هذا أيضاً على المدلول، كلما حاولنا فصله وانتزاعه عن الدال" (٥٧).

وفيما يلي وقفات تتعلق بالكوّن التركيبي في النموذج الذي اتخذناه للتطبيق وهو معلقة زهير :

أولاً: صحّة التركيب والإعراب: يُعدُّ الشعر الجاهلي من النصوص الفصيحة الصحيحة لغةً، لِمَا جُبِلَ عليه أهلها من سلامة الذوق اللغوي، وقوة القريحة، والجريان على السليقة، والبعد عن المؤثرات التي أثّرت فيمن بعدهم، ومن هنا عُدَّ التركيب في كلامهم معياراً يقاس عليه، ويحتذى بأساليبه، ويُبنى عليه، وهذا كله واضح بيّن في هذه القصيدة، ولكن الناظر إليها بعين الناقد يجد أن تراكيبها لم تكن على درجة واحدة من القوة والصحة في جميعها، ويتبين ذلك من الأمثلة الآتية:

أ — وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ

قوله في هذا البيت: " وما هو عنها" فيه تعقيد في التركيب بسبب توالي الضمائر، وصعوبة تمييز مراجعها إلا بعد التأمل؛ إذ المعنى: وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم مرارته، وليس ذلك بالحديث المرجم عن الحرب، أي ليس ذلك العلم بالحديث المرجم عنها. (٥٨)

ب — فَتَنْبِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشَامَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمِ

في هذا البيت وصف الشاعر "غلماناً" — وهو جمع — بقوله: "أشام" وهو مفرد! فأضعف ذلك تركيبه وجعله قَلْبًا غير مستساغ، ومن ثمَّ خُرِجَ على وجهين: أحدهما أنه جعل "أفعل" بمعنى المصدر، فكأنه قال: غلمان شؤم.

وثانيهما أنه على حذف مضاف، والمعنى: غلمان امرئ شؤم، أو أشام، أي مشؤوم. (٥٩)

ج — فَشَدَّ فَلَمْ يُفْزِعْ بِيُوتًا كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمَّ قَشْعَمِ

(٥٧) محاضرات في علم اللسان العام ص ١٥٤.

(٥٨) انظر: شرح القصائد السبع لابن الأباري ص ٢٦٧، وشرحها لابن النحاس ١١٢—١١٣.

(٥٩) انظر: شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ١١٤، ولابن الأباري ص ٢٣٩. وللزوزني ص ١٠٨.

والى الشاعر هنا بين ظرفي مكان في قوله: " لدى حيث" ومعناها واحد، وهذا تركيب ضعيف؛ ولكن الشاعر جاء
بـ (حيث) ليفصل بها بين (لدى) والفعل؛ لأن (لدى) لا تدخل إلا على اسم، وهو يريد: مكان إلقاء أم قشعم
رحلها، وهي المنية، وقيل العنكبوت.^(٦٠)

د — جَرِيءٌ مَتَى يُظْلَمُ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ سَرِيْعًا وَإِلَّا يُبَدَّ بِالظُّلْمِ يَظْلِمُ
قوله: "وإلا يُبَدَّ" أصله: وإن لا يُبَدَّ، يريد: وإن لم يُبَدِّه أحد بالظلم، فارتكبت ضرورة أبدال الهمزة من (بيدأ) ألفاً، ثم
حذف الألف للحزم، وهذا تركيب ضعيف، ولذلك نعتة بعضهم بأنه من أقبح الضرورات.^(٦١)

ه — وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْدَمٍ
قوله: "يطيع العوالي" ليس على القياس، والقياس أن يقول: "العوالي" بفتح الياء لأنها منصوبة، ولكنه اضطر؛ لإقامة
الوزن، فحمل النصب على الجر والرفع فأثبت الياء.^(٦٢)

هذه أمثلة لبعض الملحوظات على البنية التركيبية في هذه القصيدة، وهي تدل على ما كان عليه العربي الفصيح من
إرسال الكلام هكذا على سليقته، وفي ذلك قد لا يلتزم بالمطرود المعتاد في الأنظمة التركيبية، ولذلك تُدرج هذه الملحوظات
في القليل النادر الذي لا يُقاس عليه؛ لمخالفته لعامة المطرد المنقاس^(٦٣)، ونقل ابن السراج عن المبرد رحمهما الله قوله:
"وليس البيت الشاذ والكلام المحفوظ بأدنى إسنادٍ حجةً على الأصل المجمع عليه في كلام ولا نحو ولا فقه، وإنما يركن إلى
هذا ضعفة أهل النحو، ومن لا حجة معه"^(٦٤)

^{٦٠} انظر المراجع السابقة.

^{٦١} انظر: شرح القصائد العشر للزوزني ١١٢—١١٣.

^{٦٢} انظر: شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص ١٢١.

^{٦٣} انظر لتفصيل هذه المسألة: الخصائص ٩٨/١—٩٩، والمزهر ٢٢٧/١—٢٢٨.

^{٦٤} الأصول في النحو ١/١٠٥.

ثانياً: التقديم والتأخير: قدّم الشاعر بعض الأخبار عن مبتدأها، وبعض المفاعيل عن أفعالها، ولم يلتزم التزاماً مطرداً بالنسق الأصلي للجملة، وهو تقديم المبتدأ على الخبر، وتقديم الفعل على متعلقاته، ولكن لم يكن ذلك اعتباطاً، وإنما كان لأغراض ووظائف تركيبية يقتضيها السياق، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ — قوله: " أمِنُ أمُّ أوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلِّمْ " قدّم الخبر (مِن أمُّ أوْفَى) على المبتدأ (دِمْنَةٌ) لشدة تعلقه بالمذكورة في الخبر، وهي أمُّ أوْفَى.

ب — وفي قوله: " بها العَيْنُ والآرامُ يمشين خِلْفَةً " قدّم الخبر (بها) على المبتدأ (العَيْن..). لشدة تعلقه بمرجع الضمير، وهو دار محبوبته أم أوْفَى، فهو مهتم بها أيما اهتمام.

ج — وفي قوله: " وفيهن مَلْهُى للحبیب ومنظرٌ " قدّم الخبر (فيهن) على المبتدأ (ملهى...) لغرض القصر، فقد أراد أن يقصر الجمال واللهو وما ذكره من الصفات عليهن.

د — وفي قوله: " وأصبح يجري فيهم من تلادكم مغانم شتى... " قدم خبر الفعل الناسخ (أصبح) على اسمه على اسمه (مغانم) على رأي ابن الأنباري^(٦٥)؛ لتعجيل الخبر؛ لكونه يتعلق بالممدوح، وهو معني به أكثر.

ه — وفي قوله: " ألا أبلغ الأحلافَ عني رسالةً " قدم الجار والمجرور (عني) على المفعول الثاني (رسالةً) لغرض القصر والتخصيص لنفسه.

و — قوله: " فكلاً أراهم أصبحوا يعقلونه... " قدّم التوكيد (كلاً) على المؤكّد، وأصل الكلام: أراهم كلهم... وجعله مُنَوَّنًا بعد حذف المضاف إليه؛ لأجل تأكيد العموم والمبالغة في استقصاء جميع المعنّين.

إنّ هذه النماذج لتؤكد ما قدمته من أن نسق البنية النحوية يجب أن تراعى فيه المعاني، وقد أكد ذلك علماء النحو — كما تقدم — ولولا ذلك لما لزم الشاعر أن يقدم ما حقه التأخير، ولا أن يؤخر ما كان حقه التقديم، ولكنه ملتزم ببناء

^(٦٥) شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٦٤.

عباراته على ما يوافق أغراضه، ومن ثمَّ جعل يضع كل لفظ في المكان الذي يفيد فيه المعنى المراد، وهذا هو التكوين التركيبي القوي لنسق البنية النحوية.^(٦٦)

ثالثاً: الجُملة: يرى فريق من النحويين أن الجملة النحوية هي الكلام المفيد لمعناه المستقل بنفسه^(٦٧)، ولا فرق في ذلك بين ما قلَّت ألفاظه وما كثرت، وذهب ابن هشام وآخرون إلى عدم اشتراط الإفادة فيها، وأما أعم من الكلام الذي تُشترط فيه الفائدة^(٦٨)، ويفضل بعض المحدثين تسمية ما قلَّت ألفاظه بالجمَل البسيطة، وما تعدد فيه الإسناد بالجمَل المركبة.^(٦٩)

والذي تُعنى به هذه الدراسة من هذا المكون هو بيان ما تتأسس به البنية النحوية في النص من جهة التركيب، ولا سيما النص الشعري الذي هو محور هذه الدراسة، لأجل " تجزئة الخطاب وفق النمط التركيبي الذي يرسمه قانون النحو، وعلى هذا الأساس يتضح نمط الجملة"^(٧٠) ويُنظر في ذلك إلى بناء الجمَل من جهة قصرها وطولها، واسميتها وفعاليتها، وطرق ارتباطها ببعضها^(٧١)، والذي يُبين ذلك هو طرق ورود الأفعال في الجمَل، وتنوع الإسناد ومخصصاته فيها، قال حازم: " إن المعاني قد تكون مفردة الأجزاء ومتضاعفتها، وقد يكون بعض أجزائها مفرداً وبعضها مضاعفاً، وذلك بحسب تعدد الأفعال الواقعة في المواطن التي يُعبّر عما وقع فيها أو اتحادها، وبحسب تعدد ما تستند إليه تلك الأفعال أو اتحادها، وبحسب تعدد ما تتوجه لطلبه من المفعولات أو اتحادها"^(٧٢)، يريد أن اختلاف معاني الجمَل واتحاد معانيها، وتعدد معانيها وعدمه في نسق البنية، ناشئ عن أحوال الإسناد، ودلالات المسند إليه، ودلالات المخصّصات من المفاعيل وغيرها. وفيما يلي أمثلة لتركيب الجملة في قصيدة زهير:

^{٦٦} (انظر دلائل الإعجاز ٣٧٠ — ٣٧١.

^{٦٧} (انظر: الخصائص ١٧/١، وشرح التسهيل ١/٥، واللباب ١/٤١، وشرح الحدود للفاكهي ص ٢٣٦-٢٤٢

^{٦٨} (انظر المغني ٢/٤١٩، وشرح الحدود للفاكهي ٢٤١.

^{٦٩} (انظر: اللسانيات والبيداغوجيا لعلّي آيت أوشان ص ١٥١.

^{٧٠} (الدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية ص ٩١ — ٩٢.

^{٧١} (انظر أسرار البلاغة لعبد القاهر ص ١٠٩.

^{٧٢} (منهاج البلغاء ص ٣٢.

أ — استهل زهير قصيدته بجملة اسمية، وهي قوله: "أمن أم أوفى دمنة لم تكلم" وجملة (لم تكلم) الفعلية نعت للدمنة، ثم أردفها بنعوتٍ وأحوالٍ في جمل اسمية وفعلية مترابطة بالضمائر في ستة الأبيات التالية، فجاءت الأبيات الستة كأنها جملة واحدة من شدة ارتباطها معنى ومبنى، وفي البيت الخامس منها اكتفى الشاعر بالإعراب رابطاً، وهو قوله: "أثافي سفعا في معرسٍ مرجلٍ ونؤياً كجذم الحوض لم يتلّم"

فإن الرابط بينه وبين ما قبله هو كون (أثافي سفعا... ونؤياً) منصوبة بالفعل (عرفت) (٧٣) من البيت السابق: "فلاياً عرفت الدار بعد توهم" وفي البيت السادس الربط بإعادة كلمة (الدار) الواردة في البيت الثاني، وتناسقت الأبيات الستة أيضاً من جهة الغرض العام، وهو الوقوف على دار المحبوبة وذكرها وتذكرها بآثار ديارها، فاتحدت بذلك أجزاء نسق التركيب كله.

ب — انتقل زهير بعد ذلك انتقالاً مباشراً بجملة فعلية طلبية مشيرة للانتباه، وهي قوله:

تبصر خليلي هل ترى من طعائنٍ تحمّلن بالعلياء من فوق جرثم

فجعل يصف تلك الطعائن، ويتحدث في شأن انتقالهن من موطن إلى آخر، مستعملاً جُملاً فعلية أفعالها ماضية؛ للدلالة على مضي تلك الحال وانقضائها، وجُملاً اسمية دالة على ثبات الأوصاف فيهن ودوامها، وهكذا إلى البيت السابع عشر، واستعمل لتنسيق نسيج هذه الجمل ضمير النسوة، إلا في البيت الأخير الذي ربطه بما قبله بالتصريح باسم إحداهن، حين قال: تذكرني الأحلام ليلي... إلخ. فلما كانت (ليلى) إحدى أولئك الطعائن استكفى بذكرها عن ضمير النسوة في هذا البيت، وكان ذلك إيذاناً بالانتقال الحاصل بعده، كما فعل في المقطوعة الأولى، وهذا من عجيب أسرار النسق التركيبي في قصيدته.

ج — ومن البيت الثامن عشر إلى الموفي خمسين انتقل الشاعر إلى موضوعين اثنين بينهما ترابط ضمني، الأول: الحديث عن الحرب وما تجره من الشر والصلح وما ينتجه من الخير. والثاني: الحكمة ونتائج التجارب الحياتية، والعجيب في انتقاله أنه استعمل الفعل الماضي في مستهل كل منهما، الأول قوله: "سعى ساعيا غيظ بن مرة... إيذاناً بما سيذكره من أمر

(٧٣) انظر: شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ٢٤٣.

السعي في الصلح، وأنه في حديثه هذا ساع فيه بالثناء على من هو السبب في ذلك، وجعله ما ضيا وأتبعه بآخر في إنشاء مدحه بقوله: "يَمِينًا لِنَعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا" للدلالة على تأكيد صحة ما جرى من أمر الصلح، وأن الحرب انتهت ولا رجوعَ إليها بعد هذا الصلح، واختار مادته المعجمية من فعل المدح (نَعِمَ) في سياق القَسَمِ؛ إعلامًا بما تفيض به نفسه من مشاعر الرضا والتقدير والتفخيم لهذا الحدث، وأنه آخذ في المدح والثناء والتأييد للساعي فيه.

واستأنف الثاني بالماضي من السأمة؛ فقال: " سئمتُ تكاليف الحياة... " للدلالة على أنه رجل مُجربٌ للأمور، وأنه يخبر عن معرفة ومراس، وأن ما يقوله ينبغي أن يكون موضع اهتمام للمخاطبين، وربط بين جُمْل هاتين المقطوعتين بالضمائر، وإعادة الذكر، وتوحيد الخطاب، ووحدة الموضوع في كل مقطوعة، وجعل يشحن نصه بالجمل الفعلية الدالة على هذا الموضوع بكثافة عالية؛ لإقناع المخاطبين وتهذيب نفوسهم بما يلقيه إليهم من الحكمة التي تخاطب العقل بالمسلّمات، إلى نهاية القصيدة.

د — يلحظ المتأمل طول الجُمْل في هذه القصيدة، فقد جاءت بعض الأبيات في جُمْلتين طويلتين فقط، يمثل أولاهما الشطر الأول، وأخراهما الشطر الثاني منه، كما في الأبيات: ٦، ٨، ١٠، ١٣، ٢٢، ٢٣، ٣٠، ٢٦، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٣، ٤٥، ٥٠، ٥١... ونحوها كثير.

وأحيانًا نجد البيت كله جملة واحدة، كما في الأبيات: ١٦، ١٨، ٢٦، ٢٩، بل إن الأبيات (١٩، ٢٠، ٢١) تُعدُّ كلها كجملة واحدة، من فرط الارتباط الذي بين القسم وجوابه، وهي:

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
وباللواتِ والعزى التي يعبدونها بمكة والبيت العتيق

الحَمْدُ

يَمِينًا لِنَعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ
وليس فيها غير القسم وجوابه، فموضوعها واحد، والفائدة من أولها لا تتم إلا بآخرها.

ويُلحظ أيضًا إكثاره من الجمل الفعلية التي فعلها مضارع؛ لما لها من أثر في نفس المتلقي، وما فيها من الدلالة على الحال والاستمرار والتجدد، وقد سبق بيان ذلك عند الحديث عن "الأسماء والأفعال".

والخلاصة التي تنتهي إليها من هذا التحليل أن قصيدة زهير حفلت في مكوناتها التركيبية بمقومات نسق البنية النحوية المرصوفة بانتظام، عن طريق تناسب الجمل وترابطها، وإيرادها بحسب المعاني المقصودة، وأن العلاقات التركيبية فيها

شملت كل العناصر اللفظية والمعنوية والمقامية، وأن الحدود بين الجمل فيها واضحة وليس فيها لبس، قَصْرَتْ أم طالت، وأن عناصر التركيب النحوي استخدمت فيها بمهارة عالية جداً، مُنظَّمَةٌ مُرتَّبَةٌ، بحيث بدا مع كل عنصر وظيفته التي لو أُزيح من مكانه لتغيَّرت، ولقد تأكَّد لنا ذلك بالوصف المتقدم مع التفسير، وشرح أثر الكفاية النفسية للعناصر التركيبية في القصيدة، وهذا هو الذي ينبغي أن يُوصَلَ إليه في نهاية وصف النظرية النحوية والتفصيل لها^(٧٤)

الأدوات

الأدوات جزء من المُكوِّن المعجمي الذي سبق الحديث عنه، ولكن أهميتها اقتضت تخصيصها بالدراسة، كما أن شدة علاقتها بالمكوِّن الصرفي والتركيب تستدعي التعرض لها بعدهما؛ لكونها امتداداً لهما؛ لأنها من أهم الروابط التركيبية، وتتوزع تكوين أساليب النَّظْم ودلالات مفرداته مع العناصر الصرفية الأخرى.

وإن شيوع الأدوات في النص يفيد قوة وتماسكاً، لما تحمله من الربط بين أجزاء الكلام، ومن تأسيس معانٍ مقصودة لا تكون إلا بها، ومن تنويع للأساليب والجمل، ونحو ذلك، قال المرادي: "فإنه لما كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه، مبنياً أكثرها على معاني حروفه، صُرِّفَت الهمم إلى تحصيلها ومعرفة جملتها وتفصيلها"^(٧٥)

وإن من دواعي الضعف في فهم العربية، وإدراك نظامها النحوي، وعدم إتقان الإعراب: الجهل بوظائف الأدوات النحوية، ومعرفة أثرها البالغ في نسق البنية النحوية، وما تضيفه على الأساليب من قوة وتماسك، وما يطرأ على الجمل والكلمات من دلالات وتصريفات بسبب الأدوات، قال الدكتور محمد سويرتي: "إن أسلوب الحرف يبرز في السياق اللغوي والمكاني الزمني الذي يُستخدم فيه، والموضع الذي يحتله في التعبير، والموقع الذي يشغله في الجملة والعبارة أو الخطاب أو النص"^(٧٦).

ومن هنا تبرز القيمة النحوية للأداة في بناء النسق النحوي، ويَصِحُّ أنها من أهم عناصر المكوِّن الصرفي والتركيب معاً؛ لما لها من معانٍ مفردة متعلقة بذواتها، ومعانٍ مكتسبة عارضة بالتركيب، وسيلحظ القارئ ذلك في أثناء تأمله للأدوات في معلقة زهير لتطبيق هذه المفاهيم في الواقع اللغوي، وهذه أمثلة على ذلك من المعلقة مصنَّفةً بحسب المعاني:

^{٧٤} انظر: دلائل الإعجاز ص ٣٧٠ — ٣٧٢، والنحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم ص ٧٣.

^{٧٥} الجنى الداني ص ١٩.

^{٧٦} النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم ص ١٠١.

معاني الأدوات	الأدوات المستخدمة	الآيات التي وردت فيها
الاستفهام	الهمزة، مَنْ، هَلْ	الآيات: ١، ٧، ٢٩
العطف	الواو، الفاء، ثم، أو	لا يكاد بيت من القصيدة يخلو منها
النفي	لا، لم، ليس، ما	كثيرة ورود في القصيدة
الشرط	مَنْ، متى، إن، مهما، ما، إذا، لو، إن،	كثيرة الورود في القصيدة
التشبيه	كأنّ، الكاف	الآيات: ١١، ١٣، ٢، ٥
التوكيد	قد، أن، إن، نون التوكيد	الآيات: ٥٢، ٣٠، ٢٣، ٥٨، ٦٦
الإضافة	حروف الجر	كثيرة الورود في القصيدة
النهي	لا	البيت: ٣٠
الاستثناء	إلا، غير	الآيات: ٣١، ٦٧، ١٠
الاستدراك	لكن	البيت: ٥٣
الافتتاح والدعاء	ألاً	البيتان: ٦، ٢٩

إنَّ شيوع هذه الأدوات في نصِّ المعلّقة جعل لها قيمةً معنوية ولفظية كبيرة؛ وكانت فيها بمرتلة الملح في الطعام، فإنها بالنسبة لما سواها من الكلمات تُعدُّ قليلة، ولكن انتشارها حتى لا تكاد جملة تخلو من بعضها، جعل لها حضوراً مؤثراً، ولا سيما في الربط بين الكلمات والجملة، ومِنْ نَمَّ نلحظ أن أكثر الأدوات شيوعاً وانتشاراً في القصيدة أدوات الربط، كأدوات العطف والإضافة والشرط، والسبب في ذلك يكمن في قيمتها التركيبية، وقوتها في تأثيث النسيج النحوي وتنسيقه وبناء العلاقات بين عناصره.

المكوّنُ الأسلوبِيُّ

إن المعاني النحوية تتوزعها العناصر اللغوية بأجمعها، ولكل منها نصيب خاص، وللأدوات المتقدم الحديث عنها حظ وافر في تكوين الأساليب النحوية، ونسق البنية النحوية للنص لا يمكن أن يلتئم بمعزل عن المكونات الأسلوبية، ومن

البدهي أن لكل نصّ أسلوباً ملائماً، ويُستبعد وجود نصّ فصيحٍ بدون أسلوبٍ تتابع فيه الأحداث الكلامية بصفة ما (٧٧).

والمكونات الأسلوبية في نصوص اللغة العربية أنواع كثيرة يجتمع غالبها في ضربَي الخبر والإنشاء، على اعتبار أن الكلام إما خبر وإما إنشاء، ولكن التفصيل يحتمل ما فوق ذلك، فإنّ الأسلوب يشمل جميع الصور وطُرُقَ تأليف الألفاظ والمعاني التي ترد عليها الجُمَلُ في أثناء النسق النحوي، فيشمل الترتيب المنطقي للمفردات والجمل، وتسلسل الأفكار في النسق، وعناصر التكامل والتناسب في معاني عبارات الموضوع^(٧٨)، ويعني ذلك أنه يتناول عناصر المكونات الصوتية والصرفية والتركيبية من جهة معانيها كلها، وطرق تأليفها وأدائها، وأوضاعها في أثناء الحدث الكلامي.

ويرى العلامة حازم القرطاجني أن "نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ؛ لأنّ الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جهاتِ غَرَضِ القول، وكيفية الاطراد من أوصاف جهة إلى جهة"^(٧٩) ثم شرحه بما يفيد أنه أوسع من ذلك، بما يستلزمه من أدوات التعبير التي تفيد استمرار المعاني واطرادها، أو انقطاعها وتنوعها ومناسبتها للأغراض (٨٠).

وقد عبر بعض اللغويين المحدثين عن هذه المجالات التي يتناولها الأسلوب منبهاً على أهميته، فقال: "نأمل من دارس أساليب اللغة العربية أن يدقق فيما وقع في الجمل من اختيار بين إخباريتها وإنشائيها، اسميتها وفعليتها، طولها وقصرها، مدى غلبة عدد إحداها على عدد الأخرى، حدود افتراقهما والتحامهما..."^(٨١)

إنّ هذه الشمولية المذكورة للأسلوب هي التي جعلتنا ندرجه في مكونات نسق البنية النحوية الرئيسة، ومن أجلها أولاه النحويون اهتماماً بالغاً في أثناء معالجاتهم للأنساق النحوية، ومن أشهر الأساليب التي يقفون عند عناصرها كثيراً

^{٧٧} انظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: ص ١٧٤.

^{٧٨} انظر: معجم علوم اللغة العربية عن الأئمة للأشقر ص ٣٦.

^{٧٩} منهاج البلغاء ص ٣٦٣.

^{٨٠} السابق ٣٦٤.

^{٨١} النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم ص ١٠٢.

ويخصصون لها دراساتٍ وأجزاءً من فصولهم: التوكيد، والنفي، والأمر، والنهي، والدعاء، والتعجب، والتفضيل، والعرض والتحريض، والتمني والترجي، والاستفهام، والشرط، والمدح والذم، والاستغاثة، والنداء، والتعظيم، والقسم، الشرط، والإنكار، والوعد، والوعيد... ونحوها من المعاني التي يُقصد بها الكلام.^(٨٢)

ومما يلحق بالمكوّن الأسلوبى: أوضاع الجُمَل والعبارات والفقر، وطُرُق الأداء، مثل الطول والقصر، والتقديم والتأخير، وطُرُق الربط، والتنويع، والتكرار، والحذف، والاختصار، والإيجاز، والإطناب... ونحو ذلك مما لا ينفك عنه نسق البنية النحوية بحال، ولقد مرّت أمثلةً صالحةً للتطبيق على أكثر هذه الأساليب فيما تقدم، ومن ثمّ سوف أكتفي في التطبيق من معلقة زهير على نماذج مما لم يتقدم تبيانها؛ لتكون مع ما سبق دليلاً على ما سواها؛ إذ المقصود من هذه الدراسة تحديد المكونات الأساسية لنسق البنية النحوية، والتمثيل عليها، لتكون نموذجاً صالحاً للاستجابة لما يتطلبه بناء نظرية نحوية شاملة، وفق قوانين اللغة العربية.

١- الخبرُ والإنشاء:

أ — استهل زهير قصيدته بأسلوبٍ إنشائي، وهو الاستفهام في قوله: "أمن أمّ أوفى دمنةً لم تكلم...". والمقصود منه إثارة الذهن والتعبير عما في النفس من الهيجان، فإنه ليس شاكاً ولا جاهلاً، ولكن أراد أنه لبعد عهده من دمنة أم أوفى وفرط تغييرها لم يعرفها معرفة قطع وتحقيق.^(٨٣)

ب — في البيت السادس: "ألا أنعم صباحاً أيها الربع واسلم" ابتداء الجملة بأداة الافتتاح والتنبيه (ألاً) للاهتمام بالمخاطب والتمهيد لما يخاطبه به، فخاطب ربع حبيبته بهذا الأسلوب المثير، وأتبعه بأسلوب الدعاء والنداء: "أنعم صباحاً — أيها الربع — واسلم" فهذه ثلاث جُمَل كل جُملة تحمل خطاباً خاصاً، وأسلوباً متميزاً، واستعمل فعل الأمر للدعاء، وهو من أغراضه الكثيرة، نحو: "رب اغفر لي" ولثلاث يتوالى الأمران الدعائيان فصل بينهما بالنداء حاذفاً حرفه،

^{٨٢} انظر: الصاحبي ١٧٩، والأساليب الإنشائية لعبد السلام محمد هارون ١٣ وما بعدها.

^{٨٣} شرح المعلقات السبع للزوزني ١٣٣.

وهو أسلوب شائع في الكلام الفصيح، قال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٨٤) وكل هذا يفيد زيادة التأثير والتأكيد للخطاب.

ج. في البيت السابع: أورد الشاعر أسلوبين إنشائيين مختلفين، هما الأمر والاستفهام، فقال:

تَبَصَّرَ خَلِيلِي: هَلْ تَرَى مِنْ طَعَائِنٍ
تَحْمَلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْتَمِ؟

والغرض لفت الانتباه وإثارة الانفعال بطريقة تجعل المخاطب يتأمل كلام الشاعر فيشاركه في إحساسه، والأسلوبان مزجهما الشاعر في جملة واحدة طويلة، وجعل الثاني من سياق الأول، فانظر إلى قوة التعبير، والربط، والأثر المعنوي، بالغاً أقصى درجاته في نسق الجملة.

د . وقال في البيت الثاني عشر: " وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُجَلٍّ وَمُحْرَمٍ " أسلوبٌ خَبْرِيٌّ بمترلة الإنشاء في تأثيره، استعمل فيه أداة الكناية عن العدد الكثير (كَمْ) للدلالة على المبالغة، والإقناع بأن الأمر واقع كما أخبر، ولذلك أتبعه بأسلوب التعميم والشياع المستفاد من تنكير (محلٌّ ومحرم) وتنوينهما مُمَيَّزِينَ لــــ (كَمْ)، لتناسب المعاني النحوية، وتعتدل الصورة البلاغية، وشطر البيت كله جملة واحدة، وهذا التطويل من أساليب الشاعر في تأكيد معانيه، كما تقدم.

ه — كرَّر الشاعر أسلوب القَسَمِ في الأبيات: ١٩، ٢٠، ٢١، ٣٧، ٤٥، وهو أسلوبٌ إنشائيٌّ غيرٌ طَلْبِيٌّ، ولكنه يشارك الإنشاء الطلبي في إثارة الذهن، وجزالة العبارة، وتحييج النفوس؛ لما فيه من التأكيد والتعظيم والتنبيه، وكل ذلك يُكسب العبارة قوةً وجزالةً، ويَصْرِفُ عنايةَ المخاطبين إليها.

هذه الأمثلة من أهم أساليبه الإنشائية، وأما الأساليب الخبرية فهي الغالب في كلامه، وقد تقدم الحديث عنها في طرق التركيب، وبيان استخدامه للإخبار عن الماضي والحال وحديثه عن المستقبل، والحقائق الثابتة، وكل ذلك مستفاد من طرق التعبير بالأفعال بأزمنتها الثلاثة، والجملة الاسمية بأقسامها المعروفة.

^(٨٤) سورة النور، الآية (٣١).

٢- الالتفات: من المكونات لنسق البنية النحوية في قصيدة زهير أسلوب الالتفات، بكثرة مُلفتة، وهو الانتقال بين الضمائر من التكلم إلى الخطاب إلى الغيبة، والعكس، والانتقال من مفرد إلى جمع، والعكس، والانتقال من حادثة إلى أخرى، أو موضوع إلى آخر، وهو من الأساليب التي تُكسب النصَّ حيويةً ونشاطاً ملحوظاً؛ لما تحمله من إثارة للذهن، وتأثير في النفس، وتنويع في المعاني والمواقف؛ لأن النفوس مجبولة على حب الانتقال من شيء إلى آخر، وتأنس لذلك وترتاح له^(٨٥)، ومن هنا صار ذلك من نعوت الأساليب المتميزة في النص، ومن نماذج الالتفاتات في قصيدة زهير:

أ — تحدث عن نفسه ودار محبوبته وآثارها في الأبيات الستة الأولى، ثم انتقل مخاطباً الدار، فقال: "ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم" فهذا التفتت من التكلم إلى الخطاب، ثم انتقل ملتفتاً إلى خليله في البيت السابع فقال: "تبصّر خليلي: هل ترى من طعائن...". وفيه انتقال من خطاب الخليل إلى الحديث عن الطعائن.

ب — وفي البيت السابع عشر: تذكرني الأحلام ليلي ومن تطف به خيالات الأحبة يحلم

انتقل من التكلم "تذكرني" إلى الغيبة "ومن تطف... يحلم" ثم انتقل من الحديث عن الطعائن في هذا البيت وما قبله إلى موضوع آخر، وهو الحديث عن هرم بن سنان الذي أنشد القصيدة في مدحه والثناء على فعله بتحملة ديات قتلى حرب داحس والغبراء؛ لأجل الصلح بين القبيلتين المتحاربتين.

ج — جعل الشاعر في الأبيات التالية يخاطب هرم ابن سنان ومن سعى معه في الصلح، واستمر في ذلك إلى صدر البيت الخامس والعشرين، ثم انتقل في عجزه إلى الغيبة، فقال: "ومن يستبح كترًا من المجد يعظم" واستمر في هذا الانتقال إلى الحكم العام وخطاب الغيبة إلى البيت الخامس والستين .

لقد أكسب هذا الأسلوبُ البنيةَ النحويةَ حيويةً ونشاطاً ملحوظاً، تُنبئ عنه الإثارات النفسية، والتنويعات في المعاني اللطيفة، والتنبيهات بالضمائر إلى مراجعتها الحاضرة والغائبة، والقريبة والبعيدة، وجهاتها المختلفة، حتى صار ذلك في نسقٍ واحد متكامل مع التركيب النحوي المترابط بجميع أدواته ومقوماته اللفظية والمعنوية، وكان لأسلوب الشرط في الأبيات من (٥٤) إلى (٦٥) القَدْحُ المُعَلَّى في هذه الالتفاتات وتناسقها اللفظي، وقيمتها المعنوية.

^{٨٥} انظر: منهاج البلغاء لحازم ٣٦١.

المكوّنان: الدلالي والتداولي

هذان المكوّنان يقتضيان أحدهما الآخر، والسبب في ذلك أنّ الدلالة موجهة للمخاطب، ويُراعى فيها مقتضى حاله ومقامه، وهذا القصد الدلالي هو مناط التداول، وسيأتي التدليل على ذلك فيما هو آت.

و"الدلالة هي كون الشيء بحالةٍ يلزم من العلم بها العلمُ بشيءٍ آخر، والشيء الأول هو الدالّ، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص" (٨٦).

والمكوّنان الدلالي والتداولي مترابطان ترابطاً شديداً، ولو تأمل المرء المكونات المتقدمة قبل هذا لوجد أنّها كلّها جاءت وفق المعاني النحوية بعامة، فالمكوّن الدلالي هو المعاني التركيبية المستفادة من نسق الجملة، وأوضاع تنظيمها في البنية^(٨٧)، والمكوّن التداولي هو العلاقة الكائنة بين المتكلم والمخاطب، أو هو المعاني التي يقتضيها المقام والتواصل بين المتكلم والمتلقي^(٨٨)، ولا ريب أنّ المتكلم يراعي بالضرورة تنظيم النسق النحوي وفق قواعد التركيب ومقتضى المقام، فكان بنية الجملة تحددها الوظائف التداولية للكلمات والجمل في أثناء التركيب.

ومن هنا عرّف بعض اللغويين مصطلح التداول بأنه: "جزء من السيميائية التي تشكل توسعة كل من النظم وعلم الدلالة... فهو يضع النقط على حروف السياق الوارد في التلفيز"^(٨٩) كما وصفه آخر بأنه: "دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة"^(٩٠)، وأبان هذا الترابط بين التداول والدلالة، جمع غفير من أصحاب الدراسات النصية الحديثة، عندما يعرفون (البراغماتية) — وهي التداولية — بأنها: "دراسة

^{٨٦} التعريفات للجرجاني: ١٧٢.

^{٨٧} انظر الدلالة النحوية في كتاب المقتضب ص ٤.

^{٨٨} انظر الوظائف التداولية في اللغة العربية ص ٨.

^{٨٩} خطاب الحجاج والتداولية لعباس حشاني ص ٩٥، نقلاً عن روبر نادو.

^{٩٠} القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: أوزوالد، وجان ماري ص ٦٧٧.

استعمالات الكلام وتبحث في مطابقة الأشكال الدالة للسياقات المرجعية كظاهرة استدلالية وتداولية^(٩١)، وفيما يلي مثال تطبيقي يجسد هذا الترابط والتلازم بين التداول والدلالة:

المثال على ذلك: إذا قلنا: ١- "أكرم زيداً أحمد". ٢- "أكرمَ زيداً أحمد". ٣- "أكرم أحمدُ زيداً". ٤- "زيداً أكرمَ أحمد". ٥- "أحمدُ أكرمَ زيداً" اختلف التركيب من جهة ترتيب عناصره في كل جملة، فاختلقت الدلالة في كل نوع، والسبب في ذلك هو اختلاف المقام التداولي، فقد عرفنا عن طريق الدلالة التركيبية الفاعل والمفعول، والخبر والمخبر عنه في كل جملة، وعرفنا عن طريق الدلالة التداولية أن الجملة الأولى إخبار عن حصول الكرم من الفاعل للمفعول، وأنها جواب لمن سأل عما كان بينهما، والثانية إخبار عن المفعول، وكانت العناية فيها بالفعل نفسه؛ لأن المستخبر شك فيه، ولذلك قُدِّم، والثالثة إخبار عن الفاعل، والرابعة إخبار عن المفعول لمن كان عالماً بالفعل والفاعل دون شك، والخامسة إخبار عن الفاعل لا عن ذاته ولكن عن عمله وإنجازه؛ لأن الفعل خبر عن فاعله، والخبر حديث وإخبار عن المبتدأ، فجاء هذا كله بمقتضى المقام التداولي الذي يقتضي مراعاة المخاطبين وإفهامهم.

فإذا تأملنا هذه الجملة، وجدنا أن الإعراب — الذي يُعدُّ أهم مظاهر نسق الجملة في النحو — يتحكم فيه المكون الدلالي والتداولي على حدٍ سواء، ومن هنا قال بعض المهتمين بالدلالات التداولية: "تحدد الحالات الإعرابية، في إطار النموذج الذي نعتمده، حسب العلاقات القائمة بين المكونات؛ إذ يأخذ المكون حالته الإعرابية على أساس دوره الدلالي أو الوظيفة التركيبية، أو الوظيفة التداولية الملحقة به"^(٩٢)

وكذلك تختلف مقامات التأكيد والمبالغة وأساليب الإنشاء والخبر والطلب بحسب المقام التداولي^(٩٣)، وهو المقام الذي يراعي فيه المتكلم حال المخاطب، ويراعي فيه مقتضيات الحال من زمان ومكان ومناسبة الكلام، والدرجة الثقافية والعادات الاجتماعية، وأحوال من يتوقع أن يقرأ الكلام أو يسمعه ولو بعد حين، فجميع المعاني التي تأتي

^{٩١} انظر: خطاب الحجاج والتداولية لعباس حشاني ص ٩٧. وانظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: ص ١١١، ٦٧٧.

^{٩٢} الوظائف التداولية في اللغة العربية ص ١٢٨.

^{٩٣} انظر حول هذا المفهوم: الوسائط اللغوية للأوراعي ٥٠/٢.

استجابة لهذه المناسبات التواصلية والمقامية تُعد معاني تداولية، ولها أثر بالغ في نسق البنية النحوية، وهي بطبيعة حالها متقاطعة مع الدلالة التركيبية وكلُّ واحدة متأثرة بالأخرى.

ولننظر الآن في معلقة زهير التي اتخذناها نموذجاً للتطبيق، لاستيضاح أمثلة تشهد لهذا المبدأ:

١— وقف الشاعر على أطلال دار محبوبته فخاطبها بما يُشعر به محيطه بشدة تأثره، وهيجان مشاعره، فقال: "ألا أنعم صباحاً أيها الربع واسلم" فأورد ما يقتضيه المقام التواصلية من الألفاظ والتراكيب: أداة التنبيه — فعل المدح — الزمن — النداء — حذر حرف النداء — إعادة ذكر الربع باللام العهدية — والدعاء في صيغة الأمر — معنى السلامة.

٢— قدّم الشاعر لموضوع قصيدته بما يناسب أساليب عصره، وسنن الشعراء في محيطه، فذكر وقوفه على ديار محبوبته، وذكر آثار حبيها، ورحلة النسوة من مكان إلى مكان وكأنه ينظر إليهن، فأتى بهذه المعاني في أسلوب يفيض بالمشاعر الصادقة، وجُمِلَ فيها التأكيد والإثارة، وذكُرُ للأزمنة والأمكنة وطبيعة الأرض، وكل هذا مستفاد من التركيب والموقف التداولي.

٣ — أكثر الشاعر من تركيب الأفعال المضارعة في قصيدته — كما تقدم — للدلالة على الأحوال المنظورة. (٩٤)

٤— قال: "بكرن بكوراً واستحرن بسحرة" والفعل يكفي في الدلالة على الحدث، ولكن الشاعر أراد تأكيد المعنى وتثبيته، فكانه كرره مرتين، دلّ على ذلك ذكره لمصدر الفعل بعد الفعل مباشرة في الجملتين معاً، وفي ذلك إشارة لزمن الحدث، وتحديد لساعات الرحلة تدليلاً على المبالغة والجد والتشمير.

٥— أتى الشاعر بجُمِلٍ مليئة بأسلوب التنفير عن الحرب، والتبشيع لها، فصورها بما تقتضيه بيئته، ويألفه أهل زمانه ويستفظعونه، فشبها بالنار المشتعلة، والأسد الضاري، والرحى الطاحنة، ووافد عاد المشؤوم حسب العرف الاجتماعي، والعلّة التي تنتج الموت والدمار، في الأبيات من ٣٢ إلى ٣٦، وهذه معاني تداولية، استعمل لها الشاعر قالباً تركيبياً استهله بأسلوب الحصر في قوله: "وما الحرب إلا ما علمتم" ثم أتبعه بأسلوب الشرط الزماني: "متى تبعثوها تبعثوها ذميمة" الدال بمضارعه على الحركة والتجدد، والدال بجوابه المتجانس معجمياً مع شرطه على التأكيد، ثم عطف

(٩٤) انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٢٨.

على ذلك بجمل تصور فظاعة الحرب مرتبطة بما قبلها بالفاء المفيدة للتعقيب والترتيب وعدم التراخي؛ لأجل تأكيد النتيجة، وهذه دلالة تركيبية، وقد امتزجت الداللتان التركيبية والتداولية في بناء النسق النحوي بصورة هي غاية في الفصاحة والقوة في هذه الأبيات.

٦ — ينتزع زُهَيْرٌ معانيه من بيئته، ويُخضع تراكيبه للعرف اللغوي في زمنه، والقيم والتقاليد السائدة فيه، ومن ثم نجد لأفكاره صدقاً وأثراً ظاهراً، يضيف عليها قيمة دلالية خاصة، وهذا عام في قصيدته، ولكنه يبلغ الغاية في آخرها من البيت المتم خمسين إلى البيت السابع والخمسين، فقد شحن هذه القطعة بالحمل الشرطية، والأفعال المضارعة، والأدوات التأكيدية، والأساليب المثيرة، والحكم العقلية، وقد دلت هذه الأبيات على تأثره بالأحداث التي جرت في حياته، والتجارب التي مرّت عليه، وما جرى للأمم قبله، فانتزع من هذه المقامات والمواقف الحياتية تلك الحكم، وذلك الإرشاد والوعظ الذي خاطب به معاصريه لإقناعهم بالصلح والسلم، وتنوعت جملته بناءً على تنوع هذه المعاني، إذ كان المعنى هو الغرض من صياغة كل جملة، قال المبرد: "لأن الكلام إنما يُراد لمعناه". (٩٥)

ويُدي لنا هذا التحليل أن السياق اللغوي والسياق الاجتماعي يتعاضان معاً في بناء النسيج النحوي، وأنه يلزم اعتبار البعد التداولي للنص، بناءً على أن منشئ النص في أصل كلام له رسالة مُعَيَّنَةٌ يريد إيصالها للمتلقي ————— كما وجدنا عند زهير في معلقته ————— وأن ذلك يحدث في بيئة وظروف معينة، وأن قبول النص ومعيار قيمته يُعتبر فيه السياق الذي ورد فيه. (٩٦)

إنَّ نَسَقَ البنية النحوية جسم متكامل الأعضاء، تتألف فيه جميع المكونات السابقة على حدّ سواء، لاغنى عن مكون منها^(٩٧)، وهذا ما أثبتته النصوص العربية الفصيحة، كما يتبين من هذا العرض المطبّق على معلقة زُهَيْرٍ، وهي نصّ فصيح متكامل، تبين من خلال دراسته أن القطعة التي تمثل حدثاً كلامياً في نسيج نحوي، ما هي إلا مبنّى ذي قواعد وأركان، وسقفٍ وجُدُرانٍ وأبواب، ونوافذٍ ومحيط، وألوانٍ متناسقة، وشكلٍ على هيئةٍ مُعَيَّنَةٍ، وارتفاعات متناسبة،

^{٩٥} (المقتضب ٤/٤٠٠).

^{٩٦} انظر نحو النص ذي الجملة الواحدة، لحمود قديم ص ١٠٨ — ١٠٩.

^{٩٧} انظر العرفاني في الاصطلاح النحوي لتوفيق قريرة، ص ١٧٥.

وأبعادٍ متسامتة ومتناظرة، ولو اختلف شيء من هذه الأوصاف والمكونات، لكان ذلك خللاً في المبنى وعيباً فيه، وكذلك نسق البنية النحوية لو خلا من شيء من عناصره التي تقدم تفصيلها لما كان نسيجه نحويًا متكاملًا^(٩٨).

ومن هنا نقول إنَّ الوضع الصوري لمفردات الجملة النحوية أو النص اللغوي، يجب أن يكون وفق ما تستدعيه العلاقات والروابط والإحالات الدالة، وأن يكون منسجمًا مع الخطاب العام، والسياق التواصلية، والأغراض النفسية، وأن يوصفَ في إطار هذه المستويات؛ لتتكامل بنية الجملة مع البنية النصية برمتها.

الخاتمة والنتائج

لقد جاءت هذه الدراسة لمكونات نسق البنية النحوية، فأثبتت عن طريق التحليل المدعوم بالأدلة اللغوية، أن النموذج النحوي المنضبط يُبنى وفق نظام الوحدات اللغوية العامة، وهي : الوحدة الصوتية، والوحدة الصرفية، والوحدة التركيبية، والوحدة النصية، وأن كل واحدة منها تتبعها عناصر متنوعة تُعد فيها بمثابة العروق في الجسم، وأن النظام النحوي فيها يتمثل في مكونات رئيسة تقاسمها هذه الوحدات وتشارك فيها، وهي المكون الصوتي وعناصره الأدائية، والمعجمي ودلالاته، والصرفي ومبانيه الوظيفية، والتركيبي وروابطه وسياقاته اللغوية، والأدوات ومعانيها المعجمية والسياقية، والأسلوبي وأدواته الدلالية، والدلالي والتداولي ومقاماتهما السياقية والاجتماعية.

وتقرر في الدراسة — دون تردد — أن بناء النظرية العلمية النحوية، لا يمكن بمعزل معالجة كاملة لمكونات نسق البنية في إطاره المتقدم، وأن القاعدة النحوية لا يمكن أن تطرد وتنضبط دون اعتبار لعناصر الوحدات اللغوية جميعها، وأن النظرية النحوية لا بد فيها من تكامل وصدقٍ، ودقة الوصف، وصحة التفسير والاستدلال، والثبات والاستمرار، وانسجام داخلي بين عناصرها، وعدم وجود تناقض بين مصطلحاتها، كما يجب أن تكون مستنبطةً من الواقع اللغوي، وأن لا يوجد تناقض بين توقعاتها وبين النصوص المُطبَّق عليها.

هذه الضوابط مستنتجةٌ كلها من تطبيق أنظمة النحو على النموذج الذي اتخذته هذه الدراسة وهو معلقة زهير، إحدى قصائد العصر الجاهلي المختارات، وبهذا تُثبت الدراسة الفرضية التي انطلقت منها، وتُفرضها واقعاً علمياً مُبرهنًا،

^{٩٨} انظر لهذا المفهوم : محاضرات في علم اللسان العام لديسوسير، ص ١٨٢ — ١٨٣.

وهي: أن نموذج النسق النحوي المتكامل غير غامض، وأن النصوص الفصيحة غنية، والبنية النحوية فيها متكاملة، وافترضت وضوح مكونات أنساقها، وسهولة استيفاء كفايات النظرية المعرفية فيها، وقرب مأخذها، وأنها النموذج الأمثل للتطبيق النحوي في كل عصر.

ولقد أجابت الدراسة في ثنايا تحليل النص التطبيقي، عن بعض ما قد يبدو مشكلاً منافياً للتوقع والفرضية السابقة،

وهو ثلاث مسائل:

الأولى: وجود عناصر تركيبية مخالفة للنسق المنقاس في النموذج المطبق عليه.

الثانية: وجود عناصر معجمية لا تخلو من الغرابة وعدم الوضوح فيه.

الثالثة: وجود مقطوعات نصية فيه تفتقر إلى ترابط وتوحيد.

فأجابت الدراسة بما يلي: الأولى من النادر الذي لا حكم له، وهو ما شذ ولم يطرد من فصيح الكلام، فلم يُقَس عليه لمخالفته لجمهور كلام العرب، ولا يقدر ذلك في النسق النحوي. والثانية: أن الحكم بالغرابة في عصرنا لا يلزم منه مثله في عصر الشاعر، فإن الغرابة نسبية، وتختلف معاييرها من عصر لآخر، ومن بيئة لأخرى. والثالثة: المفقود هو الاتحاد الظاهر بين الموضوعات، ولكن توجد روابط أخرى يغفلها كثير من المحللين، وهي روابط مقامية، وصوتية كالقافية، ونفسية واجتماعية، ولا يلزم أن تكون الروابط النحوية كلها من الظواهر اللفظية والسياقية المعتادة، كالضمائر والوظائف النحوية.

لقد استبان من هذه الدراسة أن ما يسميه بعض المحدثين من اللسانيين بـ (نحو النص) مشمول بالدرس النحوي المعهود عند علماء العربية، ومعالج تلقائياً في الوصف النحوي القديم، فإن العناصر التي يذكرها لنحو النص على ثلاثة أقسام: ١- ما يتعلق بالنص نفسه، وهو السبك، والحبك أو التماسك.

٢- وما يتعلق بالمتلقي والقائل، وهو القصد أو الغرض، والقبول.

٣— وما يتعلق بالحيط الثقافي والمادي، وهو الإعلام والمقام أو الموقف، والتناص (٩٩).

فقد ثبت في هذه الدراسة أن هذه الأقسام كلها معالجة في النحو العربي، من خلال المكونات السبعة المذكورة لنسق البنية النحوية، وأنها لا تخرج عن الوصف النحوي لنسق الجملة من جهة صحة القاعدة والتركيب، والترابط المفهومي بين عناصر الجملة عن طريق السياق، والأسلوب، والأدوات، وأن علماء النحو العربي لم يغفلوا في وصفهم للكلام وأحكام الجمل دواعي الربط، والقصد، والسياق بأقسامه، وأنهم اهتموا بذلك ووصفوه كما فعلوا للعناصر اللفظية بأنواعها وأغراضها، وبهذا النموذج تكتمل اللوازم التي يُرجى لها أن تستجيب لمتطلبات بناء "النظرية النحوية" من كل جوانبها. والله أعلم.

مراجع الدراسة

١. الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، لأنس محمود فجال، ط١، ١٤٣٤هـ الإحساء.
٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق مصطفى النماس، ط١، ١٤٠٤هـ مطبعة النسر الذهبي.
٣. الأساليب الإنشائية في النحو العربي لعبد السلام محمد هارون، ط٣، ١٩٨٥.
٤. أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، ط١، ١٤١٢هـ.
٥. أسس علم اللغة لماريوباي، ترجمة أحمد مختار عمر، ط٢، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٣.
٦. الإصباح في شرح الاقتراح للفجال، ط١، ١٤٠٩، دار القلم — دمشق.
٧. الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق عبد لحسين الفتلي، ط١، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٨. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، بعناية سمير جابر، ط٢، ١٤١٢هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
٩. الإمتاع والمؤانسة، دار مكتبة الحياة - بيروت.
١٠. أمراء الشعر في العصر الجاهلي، لصلاح الدين الهادي، ط/ مكتبة الشباب، مصر.
١١. البسيط في شرح جمل الزجاجي، لابن أبي الربيع، تحقيق عياد الثببتي، ط١، ١٤٠٧، دار الغرب الإسلامي - بيروت.
١٢. التعريفات للجرجاني، تحقيق محمد المرعشلي ط١، ١٤٢٤هـ دار النفائس، بيروت.

١٣. التنعيم اللغوي في القرآن الكريم، للعزاوي، نشر داء الضياء، الأردن ١٤٢١هـ.
١٤. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد القرشي، تحقيق محمد علي الهاشمي، ط٢، دمشق.
١٥. الجني الداني للمرادي، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم، ط١، ١٤١٣هـ بيروت.
١٦. الحدود في الأصول، لابن فورك، تحقيق محمد السليمان، ط١، ١٩٩٩م، دار الغرب الإسلامي.
١٧. الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي — بيروت.
١٨. خطاب الحجاج والتداولية، لعباس حشاني، ط١، ٢٠١٤ الأردن.
١٩. دروس في الألسنية العامة لـ (فردينان ديسوسير) ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، ط دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م طرابلس ليبيا.
٢٠. الدلالة النحوية في كتاب المقتضب، لسامي الماضي، ط١، ٢٠٠٦، القاهرة.
٢١. الدلالة الوظيفية في بنية الجملة، لعامر السعد، ط١، ٢٠١٤ دمشق.
٢٢. ديوان زهير، شرح علي فاعور الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ دار الكتب العلمية — بيروت.
٢٣. ديوان زهير بن أبي سلمى، ط دار صادر ١٣٩٩هـ بيروت.
٢٤. رجال المعلقات العشر، لمصطفى الغلابي، ط١، ١٣٣١هـ، بيروت.
٢٥. سيبويه = الكتاب
٢٦. شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط١، ١٤١٠هـ، هجر، مصر.
٢٧. شرح التلخيص للبابرتي (محمد بن محمد) تحقيق محمد مصطفى صوفيه، ط١، ١٣٩٢، المنشأة العامة، ليبيا.
٢٨. شرح الحدود النحوية للفاكهي، تحقيق صالح العايد، ط١، ١٤١١هـ، جامعة الإمام، الرياض.
٢٩. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لابن الأنباري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٤، ١٤٠٠هـ دار المعارف، القاهرة.
٣٠. شرح القصائد العشر، للتبريزي، بعناية فواز الشعار، ط١، ١٤١٨هـ بيروت.
٣١. شرح القصائد المشهورات، ابن النحاس، ط١، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٢. شرح المعلقات السبع للزوزني، ط دار مكتبة الحياة، بيروت.
٣٣. شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش، تحقيق فخر الدين قباوة، ط١، ١٣٩٣هـ، المطبعة الصليبية بحلب.

٣٤. شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الإسترآبادي ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محي الدين عبد الحميد ، ط دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٢هـ.
٣٥. الصاحي في فقه اللغة للعلامة أحمد بن فارس ، تحقيق مصطفى الشوملي ، بيروت ١٩٦٣.
٣٦. الصناعتين لأبي هلال العسكري ط٢ ، ١٤٠٤ ، دار الكتب العلمية — بيروت
٣٧. العرفاني في الاصطلاح النحوي العربي، لتوفيق قريرة، ط١ ، ٢٠٠٧ ، الجزائر.
٣٨. علم الصوتيات لعبد العزيز أحمد وعبد الله ربيع ، ط١ ، ١٤٢٥هـ الرياض.
٣٩. فصول في الدلالة ما بين المعجم والنحو، للأزهر الزناد، ط١ ، ١٤٣١هـ تونس.
٤٠. الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمى، لفتحية محمود فرج، ط١ ، ١٤٠٣هـ، دار العلوم.
٤١. في تحليل الخطاب الشعري، لعصام واصل، ط١ ، ٢٠١٣ ، الجزائر.
٤٢. في التحليل اللغوية، لخليل أحمد عمارة، ط١ ، ١٤٠٧هـ مكتبة المنار، الأردن.
٤٣. فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، لمحمد بن الطيب الفاسي، تحقيق محمود فجال، ط٢ ، ١٤٢٣هـ، دبي.
٤٤. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، لــــ: أوزوالد ديكر، وجان ماري، ترجمة مندر عياش، ط٢ ، ٢٠٠٧ ، المركز الثقافي العربي. المغرب/ لبنان.
٤٥. الكافي في علمي العروض والقوافي ، لشهاب الدين أحمد بن عباد المعروف بالخواص، تحقيق الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
٤٦. الكتاب لسبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ، دار الجيل، مصر .
٤٧. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، تحقيق د: علي دحروج، ط١٩٩٦، م١ ، لبنان.
٤٨. اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري ، تحقيق عبد الآله نيهان ، ط١ ، ١٤١٦هـ دار الفكر ، بيروت .
٤٩. لسان العرب لابن منظور الأنصاري ، ط دار صادر ، بيروت .
٥٠. اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي، لعلي آيت، ط٢ ، ٢٠٠٦م، الدار البيضاء.
٥١. اللغة العربية معناها ومبناها ، لتمام حسان ، ط: ١٤٢١ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء.
٥٢. اللهجات العربية في القراءات القرآنية لعبد الراجحي، ط١ ، ١٩٩٩م ، مصر .
٥٣. محاضرات في علم اللسان العام، لفرديناند ديسوسير، ترجمة عبد القادر قيني، ٢٠٠٨، أفريقيا الشرق.
٥٤. مدخل إلى علم الأصوات ، لمحمد فهمي حجازي، ط٢ ، ١٩٧٨ ، دار الثقافة بالقاهرة.
٥٥. المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، بعناية محمد أحمد جاد المولى وعلى الجاوي ومحمد أبو

الفضل، ط دار الفكر .

٥٦. المصباح المنير للعلامة أحمد الفيومي ، بعناية يوسف شيخ ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، المكتبة العصرية
 ٥٧. المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، لخليفة المساوي، ط١، ١٤٣٤هـ الرباط.
 ٥٨. معاني الأبنية في العربية، لفاضل صالح السمراي، ط٢، ١٤٢٨، دار عمار، الأردن.
 ٥٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، ط المكتبة الإسلامية ، تركيا .
 ٦٠. معجم علوم اللغة العربية عن الإئمة، لمحمد سليمان الأشقر، ط١، ١٤٢٦هـ، بيروت.
 ٦١. المغني لابن هشام ، تحقيق مازن المبارك وزميله ، ط١، ١٣٩٩هـ باكستان.
 ٦٢. المفراح في شرح مراح الأرواح في التصريف، لحسن باشا، تحقيق شريف النجار، ط١، ١٤٢٧هـ

الأردن

٦٣. المقتضب لأبي العباس المبرد ، تحقيق عبد الخالق عزيمة، ط١، القاهرة ١٣٩٩هـ، مصر .
 ٦٤. المتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط١، ١٤٠٧هـ دار
 المعرفة، بيروت .

٦٥. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط٣، ٢٠٠٨ / دار المشرق بيروت.
 ٦٦. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب، ط١٩٨٦، ٣، دار الغرب،
 بيروت.

٦٧. موسيقى اللغة لرجب عبد الجواد ، نشر مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة ، ط: الأولى ٢٠٠٣ .
 ٦٨. النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، لمحمد سويرقي، ط٢٠٠٧، أفريقيا الشرق.
 ٦٩. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، لأحمد عفيفي، ط١، ٢٠٠١م، القاهرة.
 ٧٠. نحو النص ذي الجملة الواحدة، لمحمود قدوم، ط١، ١٤٢٦هـ مركز الملك عبد الله بن عبدالعزيز،

الرياض.

٧١. نظرية اللسانيات النسبية، دواعي النشأة، لمحمد الأوراعي، ط١، ١٤٣١هـ بيروت، الرباط.
 ٧٢. النظرية النحوية، لجيفري بول، ترجمة مرتضى جواد، ط١، ٢٠٠٩م، بيروت.
 ٧٣. الوافي بمعرفة القوافي لأبي العباس أحمد بن محمد العنابي الأندلسي ، تحقيق نجاة بنت حسن ، ط١،
 ١٤١٨هـ ، جامعة الإمام بالرياض .
 ٧٤. الوسائط اللغوية، اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية، لمحمد الأوراعي، ط٢، ١٤٣٤هـ، الجزائر.
 ٧٥. الوظائف التداولية في اللغة العربية لأحمد المتوكل ، ط١، ١٤٠٥هـ الدار البيضاء.

المحتويات

ملخص البحث

المقدمة

أركان البحث

دلالة المفردات

مُكوّنات نَسَقِ البِنِيّةِ

نَصُّ مُعَلِّقَةٍ زُهَيْرٍ

المُكوّنُ الصوْتِيّ

المكوّنُ المُعْجَمِيّ

المكوّنُ الصَّرْفِيّ

المُكوّنُ التَّرْكِيبِيّ

الأدوات

المُكوّنُ الأُسْلُوبِيّ

المكوّنان: الدلالي والتداولي

الخاتمةُ والنتائجُ

مراجع الدراسة

المحتويات

